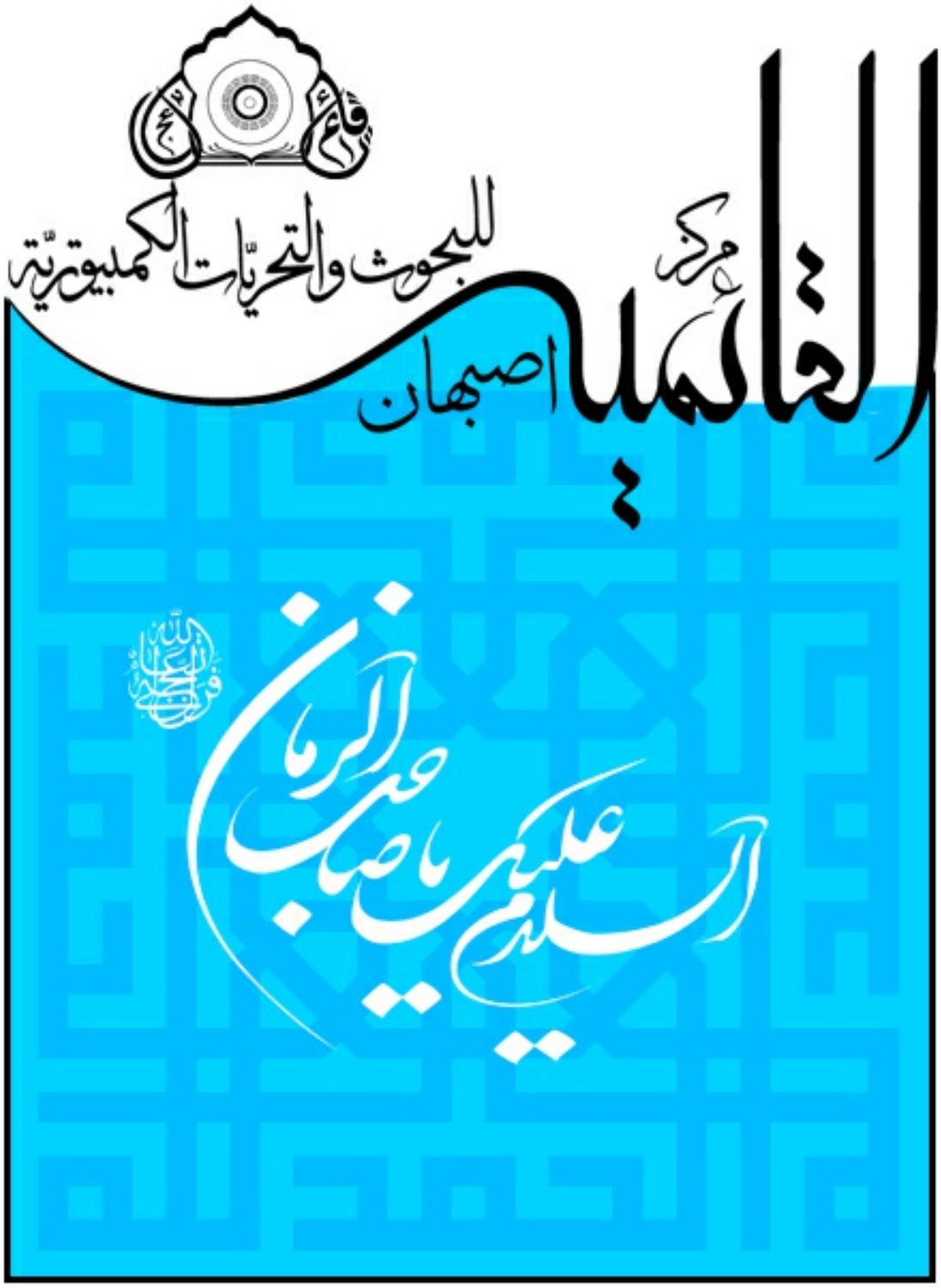

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الولايتان التكوينية والتشريعية

بسم الله الرحمن الرحیم

الولايتان التكوينيه والتشريعيه عند الشيعه واهل السنه

كاتب:

محمد على الحلو

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الولايتان التكوينيه والتشريعيه عند الشيعه واهل السنه 10

اشارة 10

اشارة 10

الإهداء 14

المقدمة 16

واقع البعض، محنة فكر.. أم محنة تفكير؟! 18

اشارة 18

محنة العقل السلفى 19

إطلال___ة.. 24

تقسيم الولاية 30

الولاية التكوينية 32

اشارة 32

النموذج الأول 34

النموذج الثانى 37

النموذج الثالث 38

اشارة 38

الايصالية أهم من الارائية 40

الولاية التكوينية والتداعيات السياسية 42

اشارة 42

الولاية التكوينية... ودحر تخرصات المشككين 43

اشارة 43

آلية خطاب أُخرى 46

وخلاصة حجّة الإمام عليه السلام 48
الولاية التكوينية للأئمّة ومشكلة الحداثة المعرفية 50
اشارة 50
والحداثويون الإسلاميون..؟ 52
ماهيّة الولاية التكوينية 53
الولاية التكوينية، هل تعنى الإعجاز؟ 54
التسليم و دور العقل 56
اشارة 56
إخضاع الولاية التكوينية لقانون العلية 57
الولاية التكوينية فى المفهوم الشيعى.. قراءة عرفانية 58
اشارة 58
الفرق بين الولاية وبين النبوة فى نظر العارفين 64
المنهج التأصيلى للولاية التكوينية فى مفهوم أهل السنة 68
اشارة 68
الولاية التكوينية تساوق المعجزة فى مفهوم أهل السنة 71
اشارة 71
تقريرات التفتازانى لكلام الفلاسفة 73
اشارة 73
أولاً: النفوس القدسية 73
ثانياً: الإطلاع على المغيبات 74
ثالثاً: التأثير على القضايا الكونية 74
رابعاً: تأثير الإمساک عن الطعام 75
خامساً: نزول الوحى وظهور الملک 75
ما ذكره الشهرستانى فى الملل والنحل 76
ما قرره الآلوسى فى مسألة التصرف فى التكوينات 78

الولاية التكوينية والعلم الحديث... قراءة تجريبية 80
اشارة 80
المعجزة.. نتائج العلوم المختبرية 81
اشارة 81
وماذا عند البعض؟ 85
تقرير ابن عابدين فى رسائله للكرامة 87
كلام ابن تيمية وتقريراته للكرامة 87
التسخير السياسى المؤسف 90
اشارة 90
إسفافٌ فى غير محله 92
أحاديث من المنحى الأول 94
اشارة 94
أولاً: ما روى فى أبى بكر 94
ثانياً: ما روى فى عمر بن الخطاب 95
ثالثاً: ما روى فى أسيد بن حضير 99
أحاديث المنحى الثانى 100
اشارة 100
أولاً: ما ورد فى أبى زرعة المصرى 100
ثانياً: ما روى فى أحمد بن حنبل 100
ثالثاً: ما روى فى مالک بن أنس 101
الإمامى_ة وأدل_ة أخ_رى.. 102
اشارة 102
أولاً 102
ثانياً 103
ثالثاً 104

رابعاً 104
الضرورة والمقتضى 106
اشارة 106
ما ورد فی الخطبة القاصعة 107
اشارة 107
محاولةٌ أُخرى 108
ونهاية المطاف.. 111
الولاية التشريعية 112
اشارة 112
الدليل على الولاية التشريعية عند الإمامية 115
اشارة 115
الجعل التشريعی وحق التشريع 118
التفويض... الشبهة والمفهوم 120
اشارة 120
أولاً: وحدانية الله تعالى 120
ثانياً: الغلو 121
ثالثاً: المصلحة من التفويض 122
اشارة 122
ما هی دائرة التفويض التشريعی؟ 122
روايات التفويض 123
قراءة لروايات التفويض 129
اشارة 129
الرواية الأولى 129
الرواية الثانية 129
الرواية الثالثة 130

الرواية الرابعة ـ 130
الرواية الخامسة . 131
الرواية السادسة . 131
الرواية السابعة . 131
الرواية الثامنة . 132
الرواية التاسعة . 132
الرواية العاشرة . 132
الرواية الحادية عشر . 133
الرواية الثانية عشر ـ 133
الوسطية... لا إفراط ولا تفريط . 135
عبدالله بن سبأ حقيقة أم خيال.. أم ماذا؟ . 137
القرآن هو المرجع فى الأمر . 139
ما نفهمه من التفويض التشريعى ـ 142
أقسام الولاية التشريعية . 146
الولاية التشريعية فى منظور أهل السنة ـ 150
فهرس المصادر ـ 160
المحتويات ـ 164
تعريف مركز . 171

الولايتان التكوينيه والتشريعيه عند الشيعه واهل السنه

اشارة

الحلو، محمد على.

الولايتان التكوينية والتشـريعية عند الشيعة وأهل السنة: مقاربات فى المنهج والمفهوم /]تـــألى_ف[محمد على الحلو. ـــــــ كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، 1430 ق. = 2009م.

158 ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 25).

المصادر: ص.151 ـــــ 153؛ وكذلک فى الحاشية.

1. الولاية - مطالعات تطبيقية. 2. الولاية التكوينية - شبهات وردود. 3. الولاية التشريعية - شبهات وردود. 4. الإمامة 5. المعجزة (إسلام). 6. تقريب المذاهب. 7. السلفية - شبهات وردود. 8. الوهابية - شبهات وردود. ألف. العنوان.

8 و 8 ح / 8 / 223 BP

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

ص: 3

الولايتان

التكوينية والتشريعية

عند الشيعة وأهل السنة

مقاربات فى المنهج والمفهوم

تأليف السيد محمد على الحلو

اصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1430هـ ـ 2009م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الإهداء

فى خضم تحدّيات القطيعة المعرفية من قِبل الآخر..

تتجلّى كرامة الله لأوليائه..

فإلى الباحثين عن الحقيقة..

أُقدّم قراءاتى..

محمد على

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين...

تعـدّ مباحث الولايـة فى الفقه الإسـلامى من أهم المباحث التى اهتمت بها الأحاديث النبويـة بل الآيات القرآنية، بشـكل أوضـحت فيها معالم الولايـة لـدى المعصوم سواء كان ذلک على مسـتوى النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم، أو على مسـتوى الإمام كونه الخليفة والراعى للشأن العام الذى يسـتوجب من خلاله تحديد صلاحياته فى دائرة التشريع، ليمكن من خلاله ممارسة مهامه القيادية فى مسارات المجتمع المتكامل والمتجه نحو الله تعالى... هذه الولاية التشـريعة تعنى إعطاء الحق للمعصوم فى صـياغة الحكم التشـريعى للمكلف و إيجاد آلية تتكفل ذلک، إلا أن الأمر فى مسألـة التنظير لازال يُعدُ فى بواكيره الأولى والتى تُرشد إلى الحد الذى يتلاءم وواقعية هذه الولاية، أو بالأحرى بمـا يتلاءم والطرح الـذى تبناه القرآن الكريم وأوضـحته الأحاديث الشـريفة فهو لا يزال فى طور التنضـيج لهـذه الأطروحـة التى تناسـب ومهمـــة المعصوم القياديـة والروحـــة، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن المسألـة لم تُشـبع بالبحث والتنقيب بما يتلاءم وخطورة الأهميـة التى تحتلها هذه القضية، ولعل ذلک

يرجع إلى أن السبب يكمن فى الظروف الحرجة التى مر بها التنظير الشيعى سياسياً، إذ كان مرصوداً بما يعرقل جهود الباحثين من الكشف عن نقاب بعض الزوايا الحرجة التى تكوّن هيكلية القضية، فتهمة الغلو من قبل البعض كانت الهاجس الذى يؤرق علماء الإمامية من الخوض فى هكذا بحوث، وكان الغلو المنطلق السهل الذى تتحرك من خلاله أجهزة النظام لمحاربة التشيع على مستوى الفكر والتنظير، لذا تُركت هذه المسألة ملقاة فى دائرة الاحتمالات التى مارسها بعض الباحثين مما أدى إلى عدم الوضوح فى الرؤية لدى الكثير من قطاعات الأمة، بل أدت هذه الحالة إلى موروثٍ غير دقيق يعتمدُ على فهم مرتكز لا يؤدى الغرض من ذلك البحث الشائك والمتشعب، وعلى هذا يُعدُ المشروع محاولة جديدة تضاف إلى المحاولات السابقة إلا أنه سيلقى الضوء على بعض نقاط الخلاف التى أثارتها هذه المسألة، ولسنا جديرين بتغطية كل ما من شأنه أن يساهم فى التخفيف من عبء البحث إلا أن أملنا فى تسديد الله ورعاية أئمتنا عليهم السلام كفيل فى المساهمة الجادة والفعّالة... وهو ولى التوفيق.

21 شهر رمضان

ذكرى شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

النجف الأشرف

محمد على السيد يحيى الحلو

قبل البحث..

واقع البعض، محنة فكر.. أم محنة تفكير؟!

اشارة

تتصاعد وتيرة التساؤلات حول إمكانية علم الغيب لدى أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإدراج هذه المقولة ضمن آليات الحرب الفكرية التى تشنّها دوائر الفكر السلفى ضد أتباع أهل البيت، حتى تصل فى بعض حالاتها إلى محاولات التكفير التى اعتادت هذه الدوائر على مزاولتها وتعاطيها ضدّ مدارس الآخر.

لم تتعدّ محاولات المعارضة «السلفية» ضدّ عقائد الإمامية بأكثر من الخطاب الإعلامى المرتبک، والذى يأخذ مسيرته فى وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة، ولعلّ الفضائيات الموجّهة قد أخذت على عاتقها هذه الحرب الإعلامية المسعورة، دون الالتفات إلى أنّ وسائل الإقناع التى لا تؤتى ثمارها دون أن تصاحبها موضوعية الطرح الذى يتناسب مع الدليل العلمى والشاهد القرآنى المؤيّد الموضوعى، لذا بقيت الحملة الإعلامية الموجّهة فى هذا الشأن لا تتعدّى أكثر من حالةٍ من حالات الاستهلاک الإعلامى الذى مارستها المدارس السلفية، وتبقى حقائق هذه المسائل غائبة بين اللغط الإعلامى وبين تعاطى المدرسة الإمامية مسلماتٍ إسلامية بحاجة إلى تصديرها لذهنيةٍ تعيش تحت مطرقة الإعلام

الصـاخب الـذى لا يقوى على أكثر من ممارسـة عمليات الإسـقاط للآخر وبكلّ الوسائل، لكى يحرز من خلالها تغييب الحقائق والتمويه عليها.

فيما يقف الطرف الإمامى الذى يتلقّى صدمات هذا الإعلام الصاخب بين الدفاع وبين إبراز الحقائق المضيَّعة.

محنة العقل السلفى

ما الذى نقصده من علم الغيب، وما دواعى إثارة مثل هذه البحوث، وهل لذلك شأنٌ فى حياتنا، فى سلوكنا، فى تاريخنا؟.

مـا الـذى جعـل أولئک يقرؤون مقالـة العلم الغيبى على أنّها لا تتعـدّى عن كونها تأليهاً لأولئک الأشـخاص الموصوفين بعلم الغيب، وإذا تعدّى هذا الأمر صار بعد ذلک كفراً يُستتاب عليه صاحبه!.

إنّ الإشـكالية تنبعث فى القراءات الخاطئة التى سـلكتها هذه المدارس بسبب قصورها المعرفى، والخطاب الذى تلتزمه مثل هذه المدارس السـلفية خطابٌ يلتزم إحالة العقل الإسـلامى إلى عقلٍ مجردٍ عن الإبداع المعرفى ويقتصـر أصحابه الاعتماد على قبليات خاطئة وحيثيات قاصرة جدّاً فى الفهم والسلوک.

إنّ المشـكلة البارزة فى نقـدِ هذه البحوث هى مصادرة الحقائق باتجاه نفى التوحيد، أو محاولة ترسـيخ مفهوم الشـرک وإلصاقها فى حيثيات العقيدة، فأولئک ـــ أصـحاب المنهج السـلفى ـــ ينتزعون مفاهيم خاطئة من منهجهم المعرفى، فهم لا يبحثون موضوعية القضية بقدر ما تنصب اهتماماتهم فى تخطئـة الآخر أو تكفيره، ولعل المنهـج التكفيرى احتفر آثاره فى ذهنيـة هؤلاء بشـكلٍ عنيفٍ جـداً، حتى باتت هذه الذهنية معطّلة عن إمكانية تقصّى الحقائق ومعرفتها.

ويمكننا القول: إنّ المنهج التكفيرى الذى اتخذه البعض ومنذ عقود ماضية ولأسبابٍ سياسيةٍ بحتة، ترعرعت بسببه هذه الاتجاهات التكفيرية ونشطت إلى تياراتٍ ساخنة تُصاغُ من خلالها رؤية وكأنها بديهية تُلغى مبدأ الحوار العلمى وتصادر الحرية الشخصية فى البحث الموضوعى الذى يوقف الفرد على إمكانية المعرفة الشخصية، ففى حدود منتصف عقود القرنين الماضيين تعاطى الفكر السلفى مع فكر وممارسات الأمّة الإسلامية على أنّها توجّهات منحرفة تعرقل مسيرة الإصلاح التى يعتقدها السلفيون من أجل تشكيلة جديدة للعقلية الإسلامية، إلا أنّها بشكل ارتجاعى إلى ماضٍ سحيقٍ بكلّ سلبياته السلوكية.

وبمعنى آخر، تطمح العقلية السلفية أن يعيش ابن القرن الحادى والعشرين وفى أوج التقنية الحديثة ضمن آليات القرون الأُولى للأمّة الإسلامية، بل تطرّف البعض منهم حتى قال: إنّ كل ما لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو حرام!.

فى حين انّ التقنية الحديثة التى يتعاطاها هؤلاء تفوق التصورات، فالسيارات الأمريكية الفارهة، والحاسوب اليابانى المتطور، والستلايت البريطانى المتقن، وآلات التصوير الألمانية المتطورة، و... تعجّ بها بيوت هؤلاء السلفيين! إلا أنّهم قتلوا عمّال الصمون فى بغداد بحجّة انّ عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يشهد صموناً!.

وأباحوا حرمات الذين وجدوا فى حوزته أجهزة احتياطية وضعها فى سيارته، بحجّة انّ ذلک مخالفٌ للتوكّل!.

واعتدوا على الحجيج عند زيارتهم لقبر الرسول وقبور البقيع بدعوى انّ الميت لا يضرّ ولا ينفع!.

إلى غير ذلـک من الخروقـات الإنسانيـة المرفوضـة، وبـدعاوى لاـ يقبلهـا العقـل.. منطلقين من عُقـد القراءات الفاشـلة للواقع الإسـلامى وإحباطات التيار الإصـلاحى السـلفى يتراجع فى أوساط الأمة الإسلامية بكلّ مذاهبها حتى بات الإسلاميون يخشون على مستقبل الدعوة الإسـلامية فى كلّ الأوساط العالميـة ومنها الغربية التى تتلقّى الإسـلام بثوبه السـلفى المتخلّف، ودعوا إلى مواجهة التيار السـلفى وإيقاف خروقاته غير المعقولة حفاظاً على روح الإسلام المنفتحة وابتعاداً عن كل الممارسات التى تصطدم مع كل المفاهيم الإسلامية الحقيقية.

إذن يعيش السـلفى عقـدة الرجوع إلى ذاتيـاته المنعزلـة عن الواقع الصـحيح فضـلاً عمّا يعيش من عقـدة التخلف والانعزال وتكفير الآخر، ويعيش من جهة أخرى عقدة ضـرورة الانفتاح على الآخر واصطدامه بالمتغيرات التى تفرض عليه الدخول فى عالمها المتطور الممتع، ومن جهـة أخرى تفرض عليه تقليدياته السـلفية رفض ذلک وتكفيره وإلغائه، وهكذا تصاب النفسـية السـلفية بعقدة الشخصـية المزدوجة والنفاق «المبرمج» والذى يمارسه السلفى فى كل مجالات حياته فتترک لديه فجوة الانعزال وكراهية الآخر والانتقام منه بأىّ وسيلة.

وأسـتطيع القول: إنّ محنة العقل السـلفى تتلخص فى نفى إمكانيات المعرفة الغيبية لدى الأولياء، فهو يعيش إذن ضـمن «المادية السـلفية» التى تلغى معها كل ما يتعلّق بما وراء الطبيعية وما يكتنف الغيب من أسرار.

فنفيهم لكرامة الإنسان بعد الموت وانّه لا يضرّ ولا ينفع، بل انّ الأولياء كذلک! بل حتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم! تتعاطى معه الرؤية السلفية فى عداد من لا يضرّ ولا ينفع لتغييب الواقع الغيبى الذى يعدّه الإسلام من أوليات مبانيه حتى تفشت فى

الوسط السلفى مقولة التكفير لزائرى القبور، ونتجت من ذلک تشنجات مقيتة بين القائمين على قبور البقيع، وبين مرتاديها، حتى انّ أولئک القائمين على القبور يفقدون أبسط مقتضيات اللياقة الأدبية فى التعامل مع الآخر.

هذه المقدّمة توقفنا على الحساسية المفرطة التى يعيشها البعض، بسبب مقولة علم الغيب، وقد نتجت عن الثقافة السلفية التى تصدّرها وسائل الإعلام السلفى أو المرتبطة بعضها بتياراتٍ سلفيةٍ متشدّدة مما أدّى إلى شيوع هذه الثقافة بين الأوساط الإسلامية، وكأنّها تمثّل القرار الرسمى لأهل السنة من الطوائف الإسلامية فى نفى علم الغيب، وعمدت الجهود السلفية بإيحاءٍ من ذهنيتها غير الواعية والتى تعكف على مصادرة المفهوم الإسلامى فى إمكانية علم الغيب بالنسبة للأولياء، ولعلّ الخشية من مسألة الغلو فى بحوث علم الغيب عزّزت من عزوف المجتمع الإسلامى عن قبول هذه الأُطروحة القرآنية والتى نفت من خلالها علم الغيب لغير الله تعالى.

((إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ)).

وإذا كان نفى الغيب مستثنى منه الرسول الذى ارتضاه واجتباه فأطلعه على علم الغيب بفضله، فلماذا هذا التهويل الذى يعيشه هؤلاء حين تذكر بحوث علم الغيب حتى يصادرها إلى حالة كفرٍ غير مستساغ تؤول إلى آلية هجومٍ على الآخر.

من هنا فإنّ بحثنا هذا سيوقف أُولئک المتوجسين من بحوث علم الغيب، ليجعل ذلک شواهد تاريخية تعزّز من اتجاه المدرسة الإسلامية الأصيلة وليبدّد مخاوف الآخرين.

إطلالـــة..

كانت واقعة الغدير بمثابة الإيذان فى إعلان معالم الولاية والولى، وكان لاجتماع الآلاف من المسـلمين فى هجير الصحراء الممتدة بين مكة والمدينة وعسـكرتهم فى ذلك الموضع من غدير خم بأمر النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم ليلقى عليهم خطاباً عاماً يشهدهم على أنه أولى الناس بأنفسهم، فلما أقرّوا بذلك أشهدهم أن على بن أبى طالب هو وليّهم.

وقـد أدرك المسـلمون ما لهـذه الكلمـة من خطورة تنمُّ عن أهميـة تلك الوصـية وكون الاجتماع فى مثل هـذا الظرف الحرج الذى يعيشـه الحجاج القافلون إلى أهليهم ولهيب الصـحراء الشاسـعة، وعلى كثبان الرمل الهائجة بعواصف الصيف الملتهبة إلا أن النبى صلى الله عليه وآله وسـلم لم يعذرهم ألا يجتمعوا، فاجتمعوا دفعة واحدة لتحط رحالهم بعد مسـيرة شاقة طويلة، والنبى يستمع لما يوحى إليه من أمر الله فى على ليبلّغ قومه وينذر أمته ويشهدهم أنه أولى الناس بأنفسهم وعلى أولى الناس بأنفسهم فضجّ الناس بأنه: نعم...

ثمّ انثالوا على عليٍّ بالمبايعة بإمرة المؤمنين، وكان أول من صفق على يده الشيخان أبو بكر وعمر، وهو أمر جدير بالوقوع إذ كانا يسعيان فى الوصول إلى حظوة القيادة والزعامـة المتمثلة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكـانا طموحين فى تحقيق رغبتهما فى زعامة الأمة، ولا يجدان طريقاً أقصر فى التحبب إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونيل رضاه سوى هذه الفرصة ليظهرا فيها طاعتهما للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وشفقتهما على تنفيذ أمره ولزوم طاعته، فحرصا على أن لا يسبقهما إلى هذا الرضا غيرهما، فكان جديرٌ بمن يطمع فى الوصول إلى حظوة الرئاسة أن يكون قريباً إلى دواعى رضا الرئيس وموجبات القبول عنده، وهو أمرٌ لا يحتاج معه إلى شواهد التاريخ ونقلة الحديث، فمجرد ما نقله بعض المؤرخين من أن أول من بايع علياً هما أبو بكر وعمر يعززهما ما ذكرناه من طموحهما للوصول إلى حظوة الخلافة وبلوغ الملك... وهو أمرٌ لا نستبعده مع هذه القرائن وغيرها، ولا تستهجنُ من رواه، بل نستهجنُ عدم التصديق فيما رواه المفسرون لقوله تعالى:

((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا))(1).

فقد روى الحاكم بسنده إلى أبى هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذى الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بيد على بن أبى طالب فقال:

من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه.

1- سورة المائدة: 3.

فقال له عمر ابن الخطاب: بخ بخ لک یا ابن أبی طالب أصبحت مولای ومولی کلّ مؤمن، وأنزل الله:

((الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ))(1).

وفی هذا المعنی تواتر الحدیث لفظاً کما أنه تواتر معنیً بألفاظٍ لا تختلف إلا الیسیر.

ولم أجد لخلفیات الحادثة أهم مما ذکره المفسرون فی أن الولایة لعلی لم تکن فی یوم الغدیر وحده، بل کان یوم الغدیر هو النتیجة الطبیعیة لتحضیراتٍ أخذت جانباً مهماً من حرکة الوحی الدؤوب_ة فی الحث علی التبلیغ لولایة علی خلال عقود الرسالة.

ولم یکن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم متردداً فی التبلیغ بقدر ما کان حریصاً علیه، وحرصه یکمن فی أن یکون التبلیغ فی أحسن ظروفه من الإصغاءِ، الطاعة، البیعة، البخوع، بل الرضا والتسلیم من أولئک الموتورین بآبائهم یوم کان علی یصرع أهلیهم وأبطالهم، وینازع کبریائهم وینهشهم فی تحدیهم لرسالة السماء، ذؤباناً یطاردون فرائسهم لیصطادوا بها مفاخرهم الجاهلیة بکل زیغها وجفائها.

والنبی أعذر فی معرفة هؤلاء القوم، فهم لا یفهمون أن ولایة علی لا تعنی محاباة النبی بقدر ما هی إرادة السماء واختیارها اصطفاءً واختباراً لمن شاء أن یعصی ومن شاء أن یطیع، بل قل لمن شاء أن یؤمن ومن شاء أن یکفر، وفی حدیث الحاکم الذی رفعه بسنده إلی زیاد بن المنذر قال:

1- شواهد التنزیل للحاکم النیسابوری 1: 207.

كنت عند أبى جعفر محمد بن على وهو يحدّث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصـرة يقال له عثمان الأعشـى ـــ كان يروى عن الحسـن البصرى ـــ فقال له:

يا ابن رسول الله جعلنى الله فداک ان الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل.

((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ)).

فقال:

لو أراد أن يخبر به لأخبر به، ولكنه يخاف، ان جبرائيل هبط على النبيصلى الله عليه وآله وسلم فقال له:

ان الله يأمرک ان تدل أمتک على صلاتهم فدلهم عليها.

ثم هبط فقال:

إنّ الله يأمرک أن تدل أمتک على زكاتهم فد لهم عليها.

ثم هبط فقال:

إنّ الله يأمرک أن تدل أمتک على صيامهم فدلهم.

ثم هبط فقال:

إنّ الله يأمرک أن تدل أمتک على حجهم ففعل.

ثم هبط فقال:

إنّ الله يأمرک أن تدل أمتک على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ليلزمهم الحجة فى جميع ذلک.

فقال رسول الله: يا رب إنّ قومی قریبو عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم وإنی أخاف.

فأنزل الله تعالى:

((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)).

يريد فما بلغتها تامة.

((وَاللَّهُ يَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ)).

فلما ضمن الله له بالعصمة وخوّفه أخذ بيد على بن أبی طالب ثم قال:

يـا أيهـا النـاس من كنت مولاـه فعلی مولاه، اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه، وأنصـر من نصـره وأخـذل من خـذله وأحب من أحبـــه وأبغض من أبغضه.

قال زياد: فقال عثمان: ما انصرفت إلى بلدی بشیء أحب إلیّ من هذا الحديث(1).

فكانت مخاوف النبی صـلی الله عليه وآله وسـلم تشـير إلى واقعٍ متهورٍ بتهور الأنفـة الجاهليـة ومنافسة الحظوة بل قل التسـلّط لمجتمعٍ لم يسـتطع أن يقتلع من جذوره المتعفنة بتوجهاتها وكبريائها، وكان صـلی الله عليه وآله وسـلم شديد التوجّس ودواعی التريّث حاضرة للتروی فی بيان ولايـة ابن عمه، فالقبائليـة الجاهليـة لا تزال تنشبُ أظفارها فی ذلک الجسد الفتی الذی لا يزال دنِفاً مما ألمّ به من معارک وحروب حتی فتح الله لنبيّه...

1- شواهد التنزيل للحاكم 1: 254.

ولم يكن تردد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى التبليغ تردداً حقيقياً بل هو إظهار الهاجس الطبيعى لما تعتمله النفس الإنسانية حين تصارع إرادات تتمرد على الخير وتتنازع مع الحق من أجل ذاتها وبقائها...

بل وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم حينما تريث فى التبليغ فقد أراد إظهار الحق وبيان أن الأمر ليس بيده بل هو من السماء، هكذا يتجاذب الحديث فى الولاية بين تفسيرٍ للآية أو تعريفٍ بالرواية، وبين قراءة لمفاهيم عقائدية نسجت على منوالها عصور المعرفة المتطاولة، دون أن تقطع على رأى يقطع معه نزاعات المشارب المختلفة، والآراء المتباينة، والرؤى المتعارضة بما يضيف جهداً جهيداً فى مجال البحث والتحقيق.

إنّ مهمة النبى والإمام بما انهما قيادتين تقودان المجتمع إلى حيث الكمال، فإنّ الكمال لا ينحصر على نطاق واحد بل يشمل كل الصعد وعديد المجالات، فالصعيد الدنيوى متمم للسمو الأخروى الذى يسعى إليه الإنسان ويكدح من أجله.

((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّکَ کَادِحٌ إِلَى رَبِّکَ کَدْحًا فَمُلَاقِيهِ))(1).

فالسعى الحثيث والعمل الجاد الذى لابد أن يبذله الإنسان من أجل الوصول إلى مرتبة الجزاء الأُخروى وهو كماله وبلوغ شأوه لابد من مبلّغٍ يوصله إلى ذلک الرضا والقبول الإلهى الذى من خلاله يصل الإنسان إلى غايته.

إنّ ذلک المبلّغ لابدّ أن يحظى برعاية إلهية تامّة وعناية ربانية تتناسبُ ومهمّته الرسالية، كلّ ذلک يمكن أن يطلق عليه بالولاية التى يمتلكها الولى المعصوم سواء كان النبى أو الإمام، وعلى هذا يدور بحثنا إذن.

1- الانشقاق: 6.

تقسيم الولاية

تنقسم الولاية إلى ولايتين أحدهما تتعلق بعالم الملک والملكوت والتكوين، والأخرى ترتبط بالوضع التشريعى أى بعالم التشريع.

فالأولى: تسمى بالولاية التكوينية.

والثانية: يطلق عليها بالولاية التشريعية.

فما المقصود من هذين المصطلحين؟ وما المراد من هذين الاطلاقين؟...

الولاية التكوينية

اشارة

لا أحـد يعتقد أن الأمور خارجةٌ عن إرادته تعالى بل الأمر كله لله ولا يجحد ذلک إلا مكابر، وفى الوقت نفسه فإننا لا نُلغى إرادته تعالى فى أن يكرّم بعض عباده فيفوض بعض الأمور إليهم ليتصـرفوا بقـدرته وليس خارجاً عن قـدرته أو بعيـداً عن إرادته وهكذا هى كرامة الله لأوليائه كما ذكرها القرآن الكريم ونوّه بها فى أكثر من موضع، وهذه بعض نماذجها:

النموذج الأول

تطالعنا قصة عرش بلقيس والتحدى الذى قام به بعض رجالات سـليمان فى إظهار مُلک النبوة وولاية من آتاه الله العلم والحكمة وسـخرّ له بإذنه بعض شؤون التكوين. فبعـد اكتشاف مملكـة بلقيس وان قومها كان يعبـدون من دون الله، أراد سـليمان عليه السـلام ان يرجعهم إلى طاعـة الله وعبادته بإظهار ما آتاه الله من إمكانيـة التصـرف وأن مملكـة بلقيس الدنيويـة لا يمكن لها أن تصـمد فى وجه هذا العطاء الإلهى والمنحة الربانية، كان التحدّى ذا حدّين:

أحدهما: تحدّى سليمان لمملكة بلقيس.

وثانيهما: تحدّى سليمان لإمكانية الجن.

أما الأوّل: فلقد كان الإعجاز الذى أراده سـليمان أن يظهر ملكه فيه بأن أراهم أن قدرة الله غالبة على كل شىء وأن حكمه ماضٍ على كل ما يجمعون

وبالفعـل فإتيـان عرش بلقيس، ذلـک العرش المرصع بالجواهر والحلى والـذى يزن حجماً لا يقوى على الإتيان به إلا عصـبة من الأشـداء الأقوياء المتمرسـين فى العمل الشاق كل ذلک يتم فى أقل من لحظـة وهى مـدة ارتـداد الطرف وكان ذلک جرى أمام الوفـد الذى أرسـلته بلقيس إلى سـليمان بهديـة الملک والدولـة السبئية، إلا أن جلب العرش كان إيذاناً بسـقوط هذه الدولة وانهيار قوتها أمام قوة ولى الله والذى ملكه من ملک الله تعالى، وبهـذا آمنت بلقيس وقومها لمجرد ما رأوه من التحـدّى والإعجاز التكوينى الـذى مارسه سـليمان لإثبات ولايته على الأشياء والتصرف بها بما يُرضى الله تعالى.

والثانى: ان عفريت الجن ذلک المارد الشيطانى الذى خضع لإرادة سليمان ظن أنه يُعجز سليمان فى الإتيان بعرش بلقيس لما له من القدرة غروراً وتمرداً، إلا أنّ الـذى عنـده علمٌ من الكتاب أظهر قـدرته التى هى كرامـة الله لأوليائه فالمشاهـد أجريت أمام أعين الوفد السبئى الذى حمل هدية بلقيس وتعامل مع سليمان تعامل ملوک الدنيا، والصور القرآنية تحكى هذه المشاهد.

((قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوکَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِکَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سٌ لَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِىَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ

مَقَامِکَ وَإِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ (39) قَالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتَابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَأَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ وَمَنْ شَکَرَ فَإِنَّمَا یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ))(1).

فالآیات ترسم صورة الحدث بشکله الفنی ومعطیاته الدرامیة ومشاهده المتداعیة بلقطاتها الرائعة.

فالمخاوف التی کانت لدی بلقیس من أن الملوک بتجبرهم وطغیانهم سیفسدون الحرث والنسل ولیس لأهل القریة التی تصبح تحت سطوتهم من حرمةٍ فانهم یذلون عزیزها ویفتکون بأهلها وان الحل الذی یمکن أن تکسب به عطف سلیمان فضلاً عن إظهار إمکانیاتها الاقتصادیة وقوتها کذلک هو التعبیر عن هدیة المملکة التی یمکن أن تحکی سطوتها وهیبتها، إلا أن ذلک لا یرُضی سلیمان دون الدخول فی دین الله وطاعته ونبذهم عبادة مَنْ دونه، فغضب لله وأبدی استعداده بمقابلتهم عسکریاً لکن بعد أن یُظهر لهم ما آتاه الله من الملک والنبوة والتصرف فکان أمام أعین الوفد هذا الحوار.

((قَالَ یَا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ)).

فالتحدی بالإعجاز هو المحاولة الأُولی التی سیستخدمها سلیمان فی إخضاع هؤلاء وتسلیمهم.

((قَالَ عِفْرِیتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِکَ وَإِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ)).

1- النمل: 34 __ 40.

فهـذا المـارد الشـيطانى أشار على سـليمان أن يسـتخدم قوته من أجل إظهار طاعته له وتقربه إليه ظاناً من أن سـليمان لا يمتلک هـذه القوة الاعجازيـة بل أكثر منها فأراد أن يظهر سـليمان له إمكانيته فأشار إلى أحد أوصـيائه المقربين إليه أن يتحدّى القوة الشـيطانية بالقدرة الإلـهية ويحُيط غرور هذا المارد.

((قَالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتَابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ)).

فالـذى عنـده علم من الكتاب تصـرف تصـرفاً أظهر معه إرادة الله تعالى وعجز مَنْ دونه، وأن الـذى يكون فى طاعـة الله تعالى يؤتيه الملک والولايـة فى التصـرف على الأشـياء، وبالفعل كانت هـذه المحاولة إحباط لكل وسائل التضـليل والانكفاء على الذات والتمرد على الإرادة الإلهية، هذه هى الولاية فى التصرف التكوينى حيث تمكن من خلالها سليمان أن يُخضِع الآخرين للإيمان بالله وبرسالاته.

النموذج الثانى

ولـم يزل إبراهيـم النبى يهيـم فى ملكوت الله عاشقاً لجماله وكماله فهو الخليل الذى اختاره الله واصطفاه.

كان إبراهيم يدفعه حبه لله أن يرى من عظيم قدرته ليظهره بتجليات العارف الوله محبّاً للكمال مأخوذاً بسـلطان ربه وقدرته، فسأله عن كيفية إفاضـة الله للحياة على أجزاءٍ مقطّعـةٍ الأوصال ليريه من قـدرته ولـم يسأل كيفيـة تحقق هـذه الأجزاء لحياةٍ مفاضةٍ عليها، فهو مذعنٌ لقدرته تعالى لكنه لا يدرى كيفية الإفاضة للحياة.

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِی الْمَوْتَی قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَی وَلَکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّیْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَی کُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ یَأْتِینَکَ سَعْیًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ))(1).

لقد کان دعاء إبراهیم لهذه الأوصال المقطعة ولایةً أفاضها الله علیه حتی صار یحیی هذه المقطّعات فتدبّ فیها الحیاة وتلتحق بأجزائها الباقیة لترجع طیراً تقف بین یدیه بأذن الله، هذه هی ولایة إبراهیم التکوینیة التی أفیضت علیه لیفیضها علی بعض الموجودات فتفعل فعلها العجیب بإذن الله.

النموذج الثالث

اشارة

ولم یکن نبی الله عیسی بمنأی عن هذه الکرامة الربانیة والإفاضة الإلهیة، فقد أسبغ علیه نعمهُ ظاهرةً وباطنة وأیده بروح القدس واجتباه لرحمته حتی أبرئ الأکمه والأبرص وأحیی الموتی بأذن الله، فکان له التصرف فی التکوین لولایته التی منحها الله إلیه، فهو فی نبوته هادٍ وقائد ومرشد لبنی إسرائیل، فکما علمه الله الکتاب والحکمة أفاض علیه من ولایة التکوین ما خضعت له أعناق المعاندین وکأن ذلک تکملةً لمهمته الإلهیة وتأییداً لدوره فی هدایة الأمة وتوجیهها:

((وَیُعَلِّمُهُ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِیلَ (48) وَرَسُولًا إِلَی بَنِی إِسْرَائِیلَ أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ

1- البقرة: 260.

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))(1).

فكل ما آتاه الله تعالى من هذه الولاية متعلقةٌ بمهمته الرسالية فمن خلال ذلک ألقى عيسى عليه السلام الحجة على بنى إسرائيل، وأعلمهم أن ذلک الخارق للعادة من الاعجاز الذى قدّمه لهم يُنبئ قربه إلى الله وأنه مرسلٌ من لدنه سبحانه إذ ابتدأ الآية بقوله:

((وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ)).

وختمها بتعداد ما يمكن أن يفعله من اعجاز.

((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)).

فمقتضى القيادة المعصومة أن تكون مرتبطةً بالله تعالى ومن آثار هذا الارتباط هو الحصول على ولايةٍ للتصرف الكونى بإذن الله تعالى، فسياق الآيات منوط الحجية بما يقدمه عيسى من إمكانية التصرف، وبذلک ستكون فاعلية التأثير فى التكوينات سبباً فى انصياع الناس للتصديق والإذعان.

انّ هذا الاستعراض القرآنى يثبت لنا ولاية التكوين لأنبياء الله تعالى، والظاهر أن هذه الولاية تشتد وضوحاً فيما إذا كان النبى له مهمة القيادة والإمامة للمجتمع فالحديث عن أنبياء الله تعالى كإبراهيم وعيسى وسليمان وموسى تجد

1- آل عمران: 48 ___ 49.

استعراضاً قرآنياً هامّاً من خلاله تتحدث الآيات القرآنية عن وضوح ظاهرة الولاية التكوينية ودائرة هذه الولاية إذ تضيق وتتسع تبعاً لمهمة ذلک النبی أو ذاک وبقدر ما يتحمل من مسؤولية قيادة أمته و إيصالها إلى الهداية الربانية، إذ المعلوم أنّ الهداية على نحوين:

أحدها: هداية إرائية، والأخرى: هداية إيصالية.

فالارائية تتعلق بالعقل النظرى وشؤونه من تحقيق المبادئ التصديقية للمكلف وتصور الخير والشر والعقاب والثواب والحق والباطل والنور والظلمة، والنبی تبعاً للواقع التبليغی يمارس دور الهداية الارائية، فی حين تتعدى مهمة بعض الأنبياء إلى الإراءة الايصالية.

أما الايصالية فهی الهداية التی يسعى من أجل إيجادها النبی أو الإمام لإيصال المكلفين إلى الغاية عن طريق تحقق تكاملهم، ومعرفة هذا التكامل والسعی من أجله، فمهمة الإمام سواء كان نبياً أو وصياً هی قيادة الأمة وهذه القيادة تقتضی السعی للوصول إلى غاية الكمال فهی ايصالية إلى المنتهى.

الايصالية أهم من الارائية

من هنا أمكن القول أن الهداية الايصالية أشرف فی مهمتها من الهداية الارائية إذ يمكن أن نصور أن الهداية الإرائية تشريعية فی حين أن الهداية الايصالية تنفيذية، مع العلم أن التنفيذية لا تعنی أن تكون تنفيذية صرفة دون مراعاة التشريع فلابد أن تحتفظ بكمالات التشريع لتنفذ على ضوئه تحقيق الغاية والوصول إلى الهدف.

انّ تصوير الإرائية بأنها تنفيذية لا يعنى حرفية المصطلح والجمود عليه، إذ تنفيذية الإيصالية فيها جنبة تشريعية بل هى فى حقيقتها تنفيذية تشريعية حينما تكون لدى الإمام أو النبى إذن فالإيصالية تشريعية لكنها فى مرحلة متقدمة فهى تنفيذ تشريعى أو فقل تشريع تنفيذى كذلک.

ولعلّ فى تقريبنا للهدايتين نلتزم بالتصور التالى:

انّک حينما تسأل أحدهم عن مكان معين فانه يصف الطريق الذى تسلكه للوصول إلى هذا المكان والهدف، بمعنى إراءة الهدف لک عن طريق الوصف والإيحاء والمشافهة ونطلق على ذلک بأنه هداک بهداية إرائية لغرض الوصول إلى المكان أو الهدف المطلوب.

فى حين حينما تسأل أحدهم عن المكان المراد الوصول إليه وغايتک المبتغاة فانه يصفه إليک ثم يأخذ بيدک ليوصلک إلى الهدف الذى تريده، وهذه العملية يُطلق عليها بالهداية الايصالية، وبالتأكيد فقد أرشدک الثانى بالإيصال إلى هدفک مباشرة ومعنى هذا أن الذى يقودک إلى هدفک مباشرة ستكون مهمته أعظم وأشرف من ذلک الذى اكتفت مهمته بالوصف والإرشاد.

إنّ مهمة الإمامة هى قيادة الأمة إلى حيث الخير والكمال تحتاج إلى أهليةٍ كاملة متكاملة وتسديد الهى دائم لا ينقطع، ولكى يبلغ النبى أو الإمام شأواً فى الأمة ومقاماً فى التبليغ فلابد أن يثبت قربه عند الله تعالى ومنزلته لديه وخاصته عنده، وكل ذلک لا يتم إثباته لدى الناس وتعريفه عندهم إلا من خلال إحداث ما يعجز عنه الآخرون، فتصرفه فى الأمور الكونية ـــ مثلاً ـــ ناشئٌ عن القرب الإلهى الذى حصل لهذا الولى.

الولاية التكوينية والتداعيات السياسية

اشارة

من المؤسف حقاً أن ينجرّ بعضـهم إلى دعاوى تنطلق من طموح شخصـى غير مشروع، ويحاول الآخرون دفع ذلک باتجاه الإيحاء النفسى الذى يسيطر على أحاسيس البعض وتوجهاتهم منافسة لكل ما من شأنه أن يقوّم من قضية الحق.

فى محاججـة الإمام على عليه السـلام لأصـحاب معاوية ومحاولته ترسـيخ فكرة الأحقية بالخلافة والإمامة، أظهر عليه السـلام لوناً آخر من محاججاته هذه: من أن الإمام لا يكون إماماً إلا أن تميّزه إمكانياته فى التصـرف بالأمور التكوينية، وإحياء الموتى، وغير ذلک مما يعجز عنه الآخرون، كما كانت الولاية فى ذلک لعيسى وموسى وغيرهما من الأنبياء، وإلا فما الفرق بينه وبين باقى الناس؟!.

وهـذه المحاججـة لم تقتصـر على معاويـة فقط بل هى تشـمل كل مَنْ ادّعى مقاماً ليس له، وحقاً ليس فيه، وهى محاججـة أربكت الكثير وأسكتت المدعين.

فقد روى السيد المرتضى بسنده مرفوعاً إلى ميثم التمار عن أمير المؤمنين قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام رقى من المنبر مراقياً ثم تنحنح فسكت الناس، فقال: «رحم الله من سمع قولى فوعى، ونظر فاستحيى، أيها الناس إنّ معاوية يزعم انّه

أمير المؤمنين، وانّه لا يكون الإمام إماماً حتى يحيى الموتى أو ينزل من السماء مطراً أو يأتى بما يشاكل ذلک مما يعجز عنه غيره»(1).

وهكذا استطاع الإمام عليه السلام ان يتحدى هذه الوجودات غير المشروعة بمطالبتها للإتيان بما يعجز عنه غيره، وإلا كيف يدعى الإمامة وهو غير قادر على التصرف، وكأن من ملازمات الإمامة إمكانية التصرف الكونى ليثبت القرب والمقام الأسنى.

ويمكن القول: إنّ هذا الاستدلال من أخطر ما نبّه عليه الإمام فى محاججاته لإثبات شرعيته وإبطال دعوى الآخرين، لذا فإنّک تجد انّ محاولات التثقيف بالاتجاه المعاكس لأُطروحة أهل البيت فى إثبات الولاية التكوينية وثبوتها قد راجت إلى الحدِّ الذى صوّره الآخرون أنّها من أفكار الغلو ومقالاته، وذلک لسدّ الطريق على مثل هذه الاستدلالات التى طالب بها أهل البيت خصومهم فى إثباتها، إن كان لهم حقُّ الحاكمية والسلطنة كما يزعمون!.

الولاية التكوينية... ودحر تخرصات المشككين

اشارة

واجه أئمّة أهل البيت عليهم السلام محاولات إقصاء مختلفة الاتجاهات وبأنواع متعددة أبرزها:

أولاً الإقصاءات التى مارستها الأنظمة السياسية والتى حاولت من خلالها إخفاء معالم أهل البيت وإبعادهم عن الأمة، مع العلم أن هذه الأنظمة لا تخفى عليها مكانة أهل البيت الدينية والعلمية وغيرها، إلا أن المنافسة الشديدة والخوف على

1- ينابيع المعاجز للسيد هاشم البحرانى: 171.

السـلطان دفع هؤلاء إلى مواجهة أهل البيت بكل الوسائل التى من شأنها أن تحدّ من حركة الأئمّة فى الأمة، إلا أنّهم واجهوا هذه التحدّيات بثباتٍ أحبط معه محاولات الأنظمة وأفشلها.

ثانيـاً الإقصـاءات التى مارسـتها التيـارات الفكريـة المناهضـة لأهل البيت، وهـذه لا تقل عن الأُولى فى المواجهـة التى عاناها أهل البيت وأتباعهم، فقد عملت هذه التيارات على محاولات التثقيف المناوئ، واختلقت وسائل التصدى الفكرى والثقافى، حيث طرحت الشـبهات والتشكيكات من أجل إيقاف المد الواسع الذى يحظى به أهل البيت عليهم السلام فى أوساط الأمة.

ثالثاً الإقصاءات التى مارسـتها الجماعات المنحرفـة داخل الكيان الشـيعى من الـذين اعترضـتهم شـبهات عقائديـة أودت بهم إلى الركون والانعزال عن فكر أهل البيت، إلى فكر جديد اسـتحدثته هذه الشـبهات أمثال الزيدية وأصـنافها، والفطحية والإسماعيلية والواقفة، والعشرات من تلك التوجهات المختلفـة، إلا أن بعضـها وُئِـدَتْ دون أن تتصاعـد تياراتها المناهضـة والمنافسـة لأُطروحـة أهل البيت وبقيت فى ذمة التاريخ، وظلت عقائدهم على المسـتوى التنظيرى فقط، فى حين تنامى بعضـها وشـكّل تهديداً واضحاً للمجتمع الشيعى الذى عانى بعض أفراده الساذجين البسطاء من حركة مضطربة خلقتها هذه التيارات فى بداية نشؤها، إلا أن التصدى الفكرى من قبل أهل البيت عليهم السلام أوقف هذه التيارات فى مدها وتناميها.

رابعاً إقصاءات من داخل الوجود الشيعى، ويتمثل هذا التيار ببعض البسطاء ذوى النظرة السطحية البسيطة الذين لا يدركون مقامات الأئمّة عليهم السلام، ويتعاملون معها على أنها إحدى نزعات الغلو المنهى عنه من قبل الأئمّة.

لذا:

فقد تعامل الأئمة مع هؤلاء بحذرٍ تام، متجنبين المواجهة معهم فى نزاعات فكرية لا يحتملها وعيهم وثقافتهم، موصين بذلک أصحابهم أن لا يثيروا ذلک لئلا ترتبک بعض هذه الوجودات فى أفكارها وتوجهاتها وأن يتعاملوا معهم بالحسنى وبأسلوب لا يعرضهم إلى الانحراف لعدم تحملهم كل ما يطرحه أصحابهم من مقاماتهم وفضائلهم.

لقد ساهمت هذه التيارات فى خلق جوٍّ من الفوضى والنزاعات المرتجلة التى حاولت الوقوف بوجه أطروحات الإمامة، والتى من شأنها أن تعمل على تعثّر جهود الترشيد الفكرى الذى يفرضه الظرف القائم آنذاک من تقديم رؤية صحيحة وناضجة عن إمامة أهل البيت عليهم السلام.

لقد واجه أهل البيت حملةً عنيفة من أكثر من تيار وكانت كلها تتفق فى جهودها من التشكيک بإمامتهم، أو محاولة التقليل من مقاماتهم إلا أنهم واجهوا ذلک التحدى بتحدٍ آخر لا يمكن لأحدهم أن يكابر فى الإذعان إلى دعواهم، أو أن يذعن إلا أنه لا يريد الاعتراف بذلک لدواعى التقليل من شأن إمامتهم منافسةً لهم ومكابرة.

آلية خطاب أُخرى

وكـان البعض يتجه باتجـاه إثارة التساؤل لا بسـبب التشـكيک بل من أجل إظهار مقامهم أمام المنكرين أو المتوقفين وهو أسـلوب مهم فى إثبات إمامتهمعليهم السـلام استعمله بعض أصحابهم فيما إذا اضطر هؤلاء إلى إثبات إمامتهم عن طريق إثارة التساؤل والتشكيک من أجل الوقوف على معالم معجزاتهم، وهذه بعض المحاولات التى أثبت فيها أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن طريق التصرف التكوينى إمامتهم، كـأن يسأل أحـدهم الإمام أن يمارس الإعجاز فى إحياء ميّتٍ أو الإخبار عن ضـمائرهم، أو الإجابـة على تساؤلات يعجز عنها الآخرون فى التعاطى معها.

وسنشير إلى بعض النماذج التى زاول من خلالها الأئمة حاكميتهم وإثبات مشروعيتها عن طريق ولايتهم التكوينية:

عن إبراهيم بن سـهل قال: لقيت على بن موسـى الرضا عليه السلام وهو على حماره فقلت له: من أركبک هذا وتزعم أكثر شيعتک أن أباک لم يوصک، ولم يقعدک هذا المقعد، وادّعيت لنفسک ما لم يكن لک.

فقال لى: وما دلالة الإمام عندک؟.

فقلت: أن يكلم بما وراء البيت، وأن يحيى ويميت.

فقال: أنا أفعل... إلى آخر الرواية(1).

وعن سليمان بن سماعة وعبيدالله بن محمد عن عبد بن القاسم بن الحرث عن أبى بصير قال:

1- ينابيع المعاجز للسيد هاشم البحرانى: 172.

قال أبو عبدالله عليه السلام: أن الأوصياء لتطوى لهم الأرض ويعلمون ما عند أصحابهم(1).

وفى كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه قال:

حدثنى محمد بن عبدالله بن جعفر الحميرى عن أبيه عن على بن محمد بن حماد البصرى عن عبدالله بن عبدالرحمن الاصم عن عبدالله بن بكر الاجسانى عن أبى عبدالله عليه السلام قال:

قلت له هل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب؟.

قال: يا بن بكر فكيف يكون حجة الله على ما بين قطريها وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم؟.

وكيف يكون حجة على قوم غيب لا يقدر عليهم ولا يقدرون عليه؟.

وكيف يكون مؤدّياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟.

وكيف يكون حجة عليهم وهو محجوب عنهم وقد حيل بينهم وبينه ان يقوم بأمر الله فيهم والله يقول:

((وَمَا أَرْسَلْنَاکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ)) (2).

يعنى به من فى الأرض والحجة من بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقوم مقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم من بعده وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمة والأخذ بحقوق الناس والقائم بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض فإذا لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول:

((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ)) (3).

1- المصدر نفسه.

2- سبأ: 28.

3- فصّلت: 28.

فأى آية فى الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق وقال تعالى:

((وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا)) (1).

فأى آية أكبر منا(2)؟!.

وقد حرص الإمام عليه السلام أن ينظّر للولاية التكوينية ولموجباتها، فقد أكد الإمام أن حاجتهم لهذه الولاية هى من مقتضى إمامتهم وقيادتهم للأمة، فالأمة لا تخضع إلا لمن امتلك هذا المقام القُربى عند الله تعالى.

وخلاصة حجّة الإمام عليه السلام

انّ مقتضيات ولايته أن يكون شاهداً على الناس، مطّلعاً على أعمالهم لا يُحجبُ عنه من كان شاهداً عليهم ضرورة؟.

فضلاً عن الفصل فى نزاعاتهم والحفاظ على حقوقهم والإنصاف لهم عند تشاجرهم فيما بينهم، فكيف يغيب عنه شأنهم وقد جعله الله حجّته ووليّه؟.

ففى بصائر الدرجات روى الصفّار مرفوعاً بسنده إلى سماعة بن مهران قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الدنيا تُمثّل للإمام فى فلقة الجوز فما يعزب شىء منها وإنّه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنها شىء(3).

وفى عيون المعجزات عن على بن حمزة الثمالى قال: دخلت على أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وكان يكنى أبا الحسن وأبا إبراهيم فقلت: جعلت فداك بم يعرف الإمام؟.

1- الزخرف: 48.

2- كامل الزيارات لابن قولويه: 328.

3- ينابيع المعاجز: 185.

فقال: بخصالٍ:

أولّها: النص من أبيه عليه، ونصبه للناس علماً حتى يكون عليهم حجة كما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أميرالمؤمنين عليه السلام إماماً وعلماً، وكذلک الأئمّة نص الأول على الثانى ونصبه حجة وعلماً أن تسأله فيجيب فتسكت عنه فيبتدئ ويخبر الناس بما يكون فى غد، ويكلم الناس بكل لسان، ويعرف منطق الطير، والساعة، أعطيک العلامة قبل أن تقوم من مقامک؟.

قال: فما برحت حتى دخل علينا رجل من أهل خراسان فتكلم بالعربية فأجابه عليه السلام بالفارسية، فقال الخراسانى: ما منعنى أن أكلمک بكلامى إلا ظنى بأنک لا تحسنه، فقال عليه السلام: سبحان الله إن كنت لا أحسن أجيبک فما فضلى عليک؟.

ثم قال لى: يا أبا محمد ان الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا منطق الطير والبهائم، فمن لم يكن فيه هذه الخصال فليس بإمام(1).

استطاع أئمّة أهل البيت عليه السلام أن يؤسسوا رؤيةً متكاملة فى معرفة الإمام وتميزه عن غيره، فقد كانت فترة ما بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فترة حرجة تمرّ بها الأمة، بعد أن تصاعدت وتائر المدعيات فى الاتجاه المعاكس للأطروحة النبوية التى تبنت تعيين الإمام وأُسس معرفته، لئلا تتفاقم المدعيات بشكلٍ يحبط المجهود النبوى التأسيسى، إلا أن أسس التحدى التى وضعها أهل البيت عليهم السلام كانت ناجحة فى صدّ عادية الأطروحات السياسية التى حاولت أن تخلق من الحاكم السياسى، حاكماً شرعياً يتقمّص خلافة الرسول بتنظيراتٍ تقفزُ على كثير من الثوابت.

1- عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبدالوهاب: 99.

الولاية التكوينية للأئمّة ومشكلة الحداثة المعرفية

اشارة

إنّ الفهم العام للولاية التكوينية يتعثر فيما إذا تعاملنا معه على الأساس العقلى الصِرف، أى إذا أدخلنا مفاهيم الولاية ضمن الدائرة العقلية الضيقة، وضيقها يرجع إلى محدودية العقل فى التعامل مع هذه القضايا التى يتكفلها الغيب فى اللامحدود الذى يعجز معه الإنسان أن يتصرف فيه على الأساس العقلى، فالعقل مع أنه يبارك كل ما يقع فى ضمن مفاهيمه فهو كذلك يُلغى كل ما يخرج عن قدرته فى الفهم الاستيعابى لهذه القضايا، إلا أن تضحيات الإلغاء وخسائر الشطب ستكون أكثر عنها من حالات القبول والتلقى.

لقد تصاعدت وتائر هذه المشكلة مع تفاقم دعوة الحداثة... إذ كانت «حركة» الحداثة وتوجهاتها فى النصف الثانى من القرن الماضى تحقق نوعاً من التمرد على المألوف، وذلك بعد أن فسح الحداثويون للعقل أن يتحرك فى غير مساحاته «المسموحة»، وإذ قلنا المسموحة فان للعقل احترامه فى الوعى الإسلامى العام لكن له حدوده كذلك، ويبدو أن الحداثة كانت ردة فعل لبعض النخب التى سأمت الفهم الساذج والتفسير المتواضع للبنيوية الإسلامية بكل توجهاتها فى طروحات التقليدية السلفية التى تبنت التفسير الإسلامى بصيغه الساذجة وشطب

المفـاهيم الـتى تبناهـا النص المعصومى الـذى يطلقه المعصوم مترجمـاً للإـرادة الإلهيـة الحقيقيـة، فـإزواء النص المعصومى أودى بقيم المفاهيم الإسـلامية الناضـجة وأثرى توجهات التمرد بحركتها العنيفة التى سـحقت معها كثير من القيم والتزمت طروحات حداثوية تعتقد أنها البديل إلا أن مشكلة الحداثة صارت تساوق مشكلة التمرّد على المألوف.

فمثلاً تجـد مفاهيم الولاية التكوينية من قبل البعض تساؤلاً إلا أنّه يتنامى ـــ وللأسف ـــ إلى حالة تمرد على كثير من القيم، فيما إذا أخفق هـذا البعض بجدية فى البحث والتحقيق الموضوعيين والإذعان بما ورد فى القرآن الكريم من ولاية التصـرف الكونية للأنبياء، ولو تمعنوا أن القضـية الكونيـة فى المفهوم الإـلهى قائمـة على المعنى الغيبى وأن المعطيات الغيبيـة هى الفاصل الحقيقى لاختيار الإيمان وهو الفيصـل الأخير فى العبودية لله تعالى لسلك أولئک الحداثويين المسيرة التصحيحية على أحسن خطاها.

نعم، إننا لا ننكر أن البعض أوقعته مسـيرة التصـحيح لبعض المفاهيم المرتجلة فى قبضة المفهوم الغربى للحداثة، فالغربيون كانت حركتهم الحداثويـة سابقـة للحداثـة العربيـة بقرون حيث التعاليم الكهنوتية لدى الكنيسة أجحفت فى تعاطيها مع القاعدة، بما فيها القواعد النخبوية التى لم تطق هـذا الوضع المزرى، الـذى ألغى معه دور العقـل إلغـاءً مجحفـاً وأُغلق الطريق المعرفى على ذلـک الجيل الطامـح بتوجهاته العلمية، فكانت ردّة الفعل العنيفة تحدّياً أولد معه اهتزازات غير طبيعية فى المنهجية المعرفية، وأحدث ما يسمى عندنا اليوم بـ«الحداثة»، وذلک على أنقاض الوضع المعرفى البائس آنذاک.

والحداثويون الإسلاميون..؟

إنّ الحـداثويين «الإسـلاميين» انطلقوا من واقع نصـى «مريض» وتكوين معرفى غير صـحى، أجهض معه كافة الرؤى الطموحة فى الجدلية الإسـلامية، فى حين لو ترعرعت معارفهم فى بيئة نصـية سالمة ورشـيدة لكان الأمر غير هذا، أى لتجد أكثر هذه الطموحات الثقافية تتحقق فى ظل النص المعصومى المعرفى ـــ نصوص أهل البيت عليهم السلام ـــ الذى تلاءم الفطرة، وتناغم مع وجدانيات المعرفة السليمة.

لقـد أكّد أهل البيت عليهم السـلام فى نصوصـهم على طموحات ذلک الإنسان التواق إلى المعرفة الحقيقية فتعاطوا مع هذه التوجهات بما يتناسب والقيمة المعرفية لكل فرد من أفراد الأمة حتى تكاملت المعرفة لديهم بكل جزئياتها وقضاياها.

لذا:

فإنّنا من هنا نـدعو أولئک الـذين يبحثون عن الواقع المعرفى الحقيقى للرؤية الإسـلامية، أن يسـتبدلوا تلک النظرة التشاؤمية وأن يبتعدوا عن التطرّف الفكرى وهم يعيشون طموحات المعرفة إلى واقع متجدّد يعمل على الوصول إلى الحقيقة المعرفية وذلک من خلال التعاطى مع ما قـدّمه فكر أئمـة أهل البيت دون اللجوء إلى البدائل الأخرى التى لا تعبّر عن ماهية مجتمعاتهم وتوجهاتهم، ولئلا ينسـلخوا من الجسد الأم ويصطفّون فى الجانب الآخر بكلّ خيباته وتعثراته.

ماهيّة الولاية التكوينية

لم يقف العلماء على ماهية الولاية التكوينية فى التصرف، فذلک موكولٌ إلى نفس المتصرف، والقرآن مع إشاراته إلى هذه الولاية إلا أنه لم يحدد ماهيتها وحقيقتها، والأئمّة ساروا على مثل هذه النهج المعرفى الغيبى، فالأمور المتعلقة بالغيب تقتضى أن لا يتعامل معها الفهم المحدود والعقل غير المدرک لمكنون هذا الغيب الشاسع فى آفاقه.

إنّ الذى نقف عنده فى هذا المجال هو التساؤل الذى قد يثيره البعض عن الولاية التكوينية بصيغته المتحيرة هكذا: هل أن الولاية التكوينية هى خرق للنواميس الطبيعية فى القدرة على التصرف؟.

أم أن المعصوم هو واسطة فيض يفيض على عالم الوجود فى التدبير ويُمثّل بتدبير الروح لبدن الإنسان، أو كضرورة القلب لإدارة بدن الإنسان؟.

هذا التساؤل لعله يعترض الكثير من الباحثين فى الشأن العقائدى، إلا أن الإجابة تبقى فى دائرة الاحتمالات، ولاترقى إلى مستوى الجزم واليقين.

الولاية التكوينية، هل تعنى الإعجاز؟

ونضيف إلى التساؤل السابق إشارة أخرى وهى:

هل أن الولاية التكوينية نوع إعجاز أم هى حالة أخرى من مختصات النبى أو الإمام لها خصوصياتها وماهيتها؟.

وبمعنى آخر إذا كان الإعجاز يعنى خرق العادة من أجل التحدى لإثبات الدعوى فهل ستكون الولاية التكوينية بمعنى الإعجاز أم أنها حالة من حالات خصوصية المعصوم؟.

وهل تعنى الولايـة التكوينية هى القابلية على تغيير المعادلات الكونية والخروج عن قواعدها المألوفة بسـبب إيداع المعصوم لأسـرار آليات هذا التغيير والوقوف على إمكانيات هذا التصرف؟.

أم أن الولاية التكوينية هى ضمن استجابة الدعاء الذى لا يرُد كرامة من الله تعالى لهذا الولى.

أم أن قابلية التصرف تكمن فى إيداع المعصوم والولى للاسم الأعظم كما تشير إليه بعض الروايات فى قضية آصف بن برخيا.

وإذا كان الأمر كذلک:

هل أن السـر فی التصـرف الکونی راجعٌ إلی قابلیة هذا الاسم الأعظم الذی یمتلکه المعصوم فیسـتطیع عندها التغییر والتصـرف أم أن ذلک یرجع إلی ذات الولی الذی یمتلک الاسم الأعظم؟.

أم أنه مرکبٌ من ذات الولی القابلة للتصـرف بالاسم الأعظم فضلاً عن نفس الاسم الأعظم وقابلیته فی التصرف، إذ الاسم الأعظم وحده لا تترتب الآثـار علیه ما لم یکن التصـرف من قبل ذات المعصوم التی تتوفر علی خصائص التصـرف بالاسم الأعظم، فلو امتلکه غیره لما کان جدیراً بالتصرف، أم ماذا؟.

کل هذه الأسـئلة تتوارد فی خواطر الباحثین إلا أن الإجابة علیها تبقی فی غایة العسر بل والاستحالة، إلا أن نردَّ ذلک إلی أهله ونتعامل معها معاملة التسـلیم والانصـیاع والإذعان، لأنها خارجة عن دائرة العقل أی فی ضـمن الغیبیات «المیتاعقلیة»، والمتعلقة بالقدرة الإلهیة التی لا یمکن لنا أن نقف علیها أو تنالها عقولنا القاصـرة، والبحث فی ذلک یعنی تجاوز المحـدود المعرفی العقلی الذی أراده أهل البیت أن نعیش فی ضمن إطاره التسلیمی.

التسليم و دور العقل

اشارة

إنّ التسـليم لا يعنى إلغاء دور العقل وتهميشه، بل التسـليم يعنى احترام القابليـة المحـدودة للعقل فى التعامل مع اللامحدود الغيبى الذى معه يتوقّف العقل عن اسـتقصاء الحقائق الكونيـة والمعرفيـة الموضوعيـة، وإذا كان للعقل مكانته فى تحديد التوجّه المعرفى إلا أنه يبقى فى ضمن حـدوده المرسومـة له دون أن يصـل إلى مـا وراء الطبيعـة فى مـداركه ومقتنياته، ومن أجل ذلک تبنّى أهل البيت المفهوم القرآنى فى حركة العقل المعرفية، حيث تساءل القرآن فى كثير من موارد الاستدلال بقوله: «أفلا يعقلون، أفلا يتدبرون، أفلا يتفكرون، لعلهم يعقلون..» إلى غيره من موارد إعطاء العقل لمساحاته الطبيعية، إلا أن أئمة أهل البيت شدّدوا حرصهم على أن لا يتسيّب العقل فى متاهات البحث غير الرشيد، بل أرادوا للعقل أن يحتفظ بعطاءاته الكاملة وفى الوقت نفسه أن يعرف قدر إمكانية حركته دون أن يتجاوز الغيب فى تساؤلاته، إذ أنّ المفردة الغيبيـة تحتفـظ بانتسابها إلى ما وراء المشاهـدات الحسـية التى يعجزُ معها العقل فى النهوض بأعباء التفسـير، بل يرد أمره إلى الله والراسـخين فى العلم، وأحسب أن هـذه الدعوة من قبل أهل البيت حافظت على قداسة العقل من الشـطط والخطل الذى يلجأه البحث غير الناضج للولوج فيما يرجع بخيبة التحيّر، بل والتشـرّد كذلک، وعلى أساس هذا «التشـرد الفكرى» يؤسـس مبانيه الخاطئة ويزجّه فى متاهاته دون الوصول إلى حقيقةٍ ما.

إخضاع الولاية التكوينية لقانون العلية

قـد يحاول البعض أن يُخضع الأمر إلى قانون العليـة حيث الحوادث الكونيـة كلها تخضع إلى مقالة العلة والمعلول، أو إخضاعها إلى قانون السببية والتى تتحكم فى القضايا الكونية.

وكل ذلک يتعارض مع منطق الإعجاز الذى تتعاطى معه بحوث الولاية، التكوينية ـــ وإن تساءلنا فيما سبق ـــ:

هل أن الأمر من باب الإعجاز، أم هو أمرٌ قائم بذاته يتجاوز الأمر الاعجازى، حيث سـلمنا أن القضـية الغيبية لا تحتاج إلى تفسـير والبحث عن تفسـير القضـية الغيبية ضـربٌ من ضروب العبث، إذ الغيب قائم على حالة التسليم والإذعان وقد أمتدح سبحانه أولئک المذعنين للأمر الغيبى.

((الم (1) ذَلِکَ الْکِتَابُ لَا رَیْبَ فِیهِ هُدًى لِلْمُتَّقِینَ (2) الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ وَیُقِیمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ یُنْفِقُونَ))(1).

فالإيمان الغيبى من مقتضيات التقوى التى لابد أن يتحملها الإنسان فى سير العروج التكاملى، وإذا أخضعنا مفاهيم الولاية إلى قانون العلية أو السببية أو غيرها فقد أخضعنا إرادة الله إلى ذلک، وكأن الإرادة الإلهية خاضعة إلى معلولها وهذا أمر يتنافى مع الوجدان.

وبذلک لا يمكن انجاح الفهم الصحيح للولاية التكوينية إلا بالتسليم وعدم العبث فى التحرى عن أسبابها وعلل مناشئها.

1- البقرة: 1، 3.

الولاية التكوينية فى المفهوم الشيعى.. قراءة عرفانية

اشارة

لم تتحدث الروايات عن ماهية هذه الولاية ولذلک أوكلنا أمرها إلى المفهوم الغيبى الذى تقف عنده كل الاحتمالات، إلا أن العرفاء حاولوا أن يقرؤوا الولايـة التكوينيـة على أساس معطياتهم العرفانيـة وهو أمرٌ جديرٌ بالاهتمام، إلا أن ذلک لا يعنى جزمية المسألة بقدر ما هى رؤية تجمعهـا توجهات العرفاء والسالكين فى تفسـير النفس، وهى قضـية يتسع فيها البحث إلى أقاص التصورات المعتمـدة على بحوثٍ فلسـفية يمكن أن يسـتفاد منهـا بعض ماهيـات النفس الكاملـة التى ترقى إلى حقائق الملكوت لتتصـرف فى التكوينييات تصـرفاً يعتمـد على شـدة ارتباطها بالله تعالى، ولعل هذا البحث سيتفق مع المنهج الفلسفى لأهل السنة إذعانا منهم بالولاية التكوينية ووجوداتها.

ففى سِفره القيّم تحـدّث العلامـة الشـيخ حسن زاده الآملى ـــ وهو من العلماء المعاصـرين ـــ عن هـذه المسألـة بعـد تعليقه على كلام الفارابى فى تعريفة لسعادة النفس:

قال الفارابى: السـعادة هى أن تصـير نفس الإنسان من الكمال فى الوجود إلى حيث لا تحتاج فى قوامها إلى مادة، وذلک أن تصير فى جملة الأشياء البريئة

عن الأجسام، وفی جملة الجواهر الفارقة للمواد وأن تبقی علی تلک الحال دائماً أبداً(1).

قال العلامـة الشـیخ حسن زاده الآملی تعلیقاً علی ذلک، أقول: ینبغی أن یکون المراد من المادة، المادة الطبیعیة، وإلا فللإنسان أبدان طولیة کان التفاوت بینها بالکمال والنقص، وإذا صار النفی من جملـة المفارقات کانت فی أفعالها أیضاً لا تحتاج إلی المادة کما صارت فی قوامها کـذلک، فحینئـذ یصـدر عنها آثار غریبـة بـدون إحساس عضو من أعضائه بشـیء کمادة الملکوتیین لهم ذلک الاقتـدار فتـدبّر فی کلام الله سبحان فی الإتیان بعرش بلقیس عند سلیمان علیه السلام.

((قَالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتَابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ))(2).

وکذا فی کلام الوصـی سـلام الله علیه وصلواته فی ما کتب إلی سهل بن حنیف «والله ما قلعتُ باب خیبر وقذفتُ به أربعین ذراعاً لم تُحسَّ به أعضائی، بقوةٍ جسدیة ولا حرکةٍ غذائیة ولکن أیدتُ بقوةٍ ملکوتیة ونفسٍ بنور ربها مضـیئةٍ» رواه الشیخ الأجل عماد الدین الطبری فی کتابه بشارة المصطفی لشیعة المرتضی مسنداً.

وقـد عرّفوا النفس القویة بأنها هی الوافیة بصدور الأفعال العظیمة منها والشدیدة فی أبواب کثیرة، ومثّلوا بأنا نشاهد نفوساً ضـیّقة یشـغلها فعل عن فعل فإذا انتصـبت إلی الفکر اختل إحساسها وبالعکس، ونری نفوساً قویة تجمع بین أصناف من الادراکات والتحریکات سیما ما یتعلق بالفضائل والشرافة غیر القوة وان یمکن اجتماعها.

1- المدینة الفاضلة: 66.

2- النمل: 40.

وقد عرّفوا النفس الشريفة بحسب الغريزة بأنها الشبيهة بالمفارقة فی الحکمة والحرية.

وفی عين اليقين للفيض «ومن الغرائب الإنسانية اطاقته بقوته فعلاً أو تحريکاً أو حرکة تخرج عن وسع مثله الخ»(1).

وصدور جميع المعجزات وخوارق العادات من الإنسان هی من هذا القبيل بإذن الله سبحانه، والأذن ها هنا هو مشيته النافذة الواردة هی سر الولی الکامل المتصرف فی مادة الکائنات

((وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ کَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَکُونُ طَيْرًا بِإِذْنِی وَتُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِی وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَی بِإِذْنِی))(2).

والعارف يعبّر عن هذا المقام بمقام «کن»، فمن صار صاحب مقام «کن» يفعل بأمره «کن» ما شاء الله بإذن الله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، فتدبر فی قوله سبحانه:

((قُلْنَا يَا نَارُ کُونِی بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَی إِبْرَاهِيمَ))(3).

حيث أتی بصيغة المتکلم مع الغير، وقال سبحانه:

((إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَیْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ کُنْ فَيَکُونُ))(4).

1- عين اليقين للفيض الکاشانی: 401.

2- المائدة: 110.

3- الأنبياء: 69.

4- النحل: 40.

وصاحب مقام «كن» هو صاحب الهمّة، بل صاحب الأمر، وهو فوق رتبة صاحب الهمة بالبيان الذى ستسمعه منّا فى هذه العين، والعارف يخلق بهمته ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ولكن لا تزال الهمة تحفظه كما أفاده الشيخ الأكبر.. والإنسان الذى صار صاحب الهمة والإرادة وواجد مقام «كن»، له ولاية تكوينية ويصير فى عروجه إلى اتحاده بالنفس الرحمانى فيصير ما سوى الله بمنزلة أعضائه وبدنه وهو بمنزلة روحه.

ثم نقل كلاماً عن الشيخ الرئيس قوله «النفس إذا كانت قوية شبيهة بالمبادئ أطاعها العنصر الذى فى العالم، وانفعل عنها ووجد فى العنصر مايتصور فيها».

ثم قال:

واعلم انّ الإنسان الراقى إلى هذه الرتبة العالية والدرجة الرفيعة له رتبة النبوة الانبائية، فليميز بين النبوة التشريعية والإنبائية، والأولى ختمت بسيدنا محمّدصلى الله عليه وآله وسلم، والثانية لا تنقطع والكل مدعو إليها فافهم.

النبوة الإنبائية هى تسمى العامة والنبوة المقامية التعريفية أيضاً.

ثم اعلم ان الشيخ ذهب فى الفصل الأول من خامسة الشفاء إلى أن أخص الخواص بالإنسان تصور المعانى الكلية العقلية المجردة كل التجريد الخ ـــ وأنت بما حققنا دريت أن للإنسان، شأناً فوق ذلک وليس هذا الحد الذى بينه هو أخص الخواص بالإنسان وإن كان غيره لا يقدر على ذلک الحد من التجريد، بل الإنسانية الحقيقية لها مقام فوق الخلافة الكبرى.

روایتان فی مقام «کن» نکتفی بنقلهما تبرکاً:

إحداها: روی أنه ورد فی الحدیث القدسی ان الله عزوجل قال یا ابن آدم خلقتک للبقاء، وأنا حی لا أموت، أطعنی فیما أمرتک به، وانتهِ عما نهیتک عنه، أجعلک مثلی حیاً لا تموت، أنا الذی أقول لشیء کن فیکون، أطعنی فیما أمرتک به أجعلک مثلی، إذا قلت لشیء کن فیکون.

وأخراها: عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم، أنه یأتی الملک إلی الجنة بعد أن یستأذن فی الدخول علیهم، فإذا دخل ناولهم کتاباً من عند الله بعد أن یسلم علیهم من الله فإذا فی الکتاب لکل إنسان مخاطب به: من الحی القیوم الذی لایموت إلی الحی القیوم الذی لا یموت: أما بعد فانی أقول للشیء «کن فیکون» وقد جعلتک الیوم تقول للشیء کن فیکون قال صلی الله علیه وآله وسلم: فلایقول أحد من أهل الجنة للشیء کن إلا ویکون(1).

هذا ما اقتبسناه من کلام العلامة الشیخ حسن زادة الآملی ویلاحظ فیه:

أولاً: إیکال تفسیر الولایة التکوینیة إلی مباحث النفس المأخوذة من کلمات الفلاسفة والعارفین، فقد حاول الشیخ استمزاج کلا الرؤیتین لیکون منها رؤیةً أخری یلاحظ فیها مسایرة نتائجه للنصوص الواردة عن النبی والأئمّة علیهم السلام، إذ من المعروف أن کلمات الفلاسفة فی النفس وغیرها لیست مستنبطة من الأحادیث بل هی متصیدة من بعض الآیات والروایات التی یفسرها الذوق الفلسفی علی حسب ما ورثه من الفلاسفة القدماء، وتوجهات العارفین لا ـ تخلو من حدسٍ ناشئ من حالة التعلق بالله تعالی والإذعان له وهی أقرب إلی جو النصوص لکنها تُعدُ نتیجة للمباحث الفلسفیة کذلک مع أنها خاضعة لتفسیر الآیات والروایات.

1- عیون مسائل النفس للشیخ حسن زادة الآملی صفحة 609 وما بعدها.

ثانياً: لم يكد العلّامة فى مباحثه أن يخرج ـــ أخيراً ـــ عن حالة الإذعان بالغيب وإيكال الأمر إلى الإرادة الإلهية التى تغيب كنهها عن عقولنا المحدودة، وهذا يُلمس من قوله:

«وصدور جميع المعجزات وخوارق العادات من الإنسان هى من هذا القبيل بإذن الله سبحانه، والأذن ها هنا هو مشيئته النافذة الواردة فى سرّ الولى الكامل المتصرف فى مادة الكائنات.

((وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...))(1).

وإحالة الأمر أخيراً إلى «سر الولى» كما فى تعبيره إحالته إلى مجهول غيبى لابد أن يذعن الإنسان بعجزه فى تفسير ذلک، وقد أشرنا إلى بعض الاحتمالات التى تساءلنا فيها بقولنا: «هل أن السر فى التصرف الكونى راجعٌ إلى قابلية هذا الاسم الأعظم الذى يمتلكه المعصوم فيستطيع عندها التغيير والتصرف؟.

أم أن ذلک يرجع إلى ذات الولى الذى يمتلک الاسم الأعظم»؟.

وبقيت هذه التساؤلات الحائرة لم تجد جواباً شافياً سوى إحالة الأمر إلى قدرته تعالى وغيبه المكنون فى أوليائه.

ثالثاً: يُلاحظ فى البحث الذى أورده العلامة الآملى أنه أكثر ما يوكل بعض تقريرات هذه المباحث إلى ما توصل إليه الشيخ ابن عربى وغيره من علماء السنة، ويستفاد من ذلک الاتفاق فى وجهات نظر الفريقين حول هذه الولاية التكوينية ومناهج البحث فيها المستقصاة من الآيات القرآنية.

1- (1)عيون مسائل النفس للشيخ حسن زادة الآملى صفحة 609 وما بعدها.

رابعاً: إنّ اعتماد العلامة وغيره من الفلاسفة والعارفين من الفريقين على الآيات القرآنية حسبما يُمليه عليهم الذوق الفلسفى دون التوصل بنتائجهم إلى الروايات الواردة عن النبى وأهل البيت عليهم السلام، أى أن الشعور بالتكلف فى فهم الآية وتفسيرها لا يخلو من واقع عند متابعة واستقصاء هذه البحوث.

خامساً: بالرغم مما ذكرناه إلا أن البحوث فى هذا الشأن لها أهميتها من كونها تضيف معلومةً أخرى فى تطوير مناهج البحث فى هذا المضمار، فضلاً عن كونها تشير إلى حالة العجز فى الوصول إلى نتائج قطعية ما لم توكل الأمور إلى الأمر الغيبى والإذعان لأمر الله تعالى فى أوليائه.

الفرق بين الولاية وبين النبوة فى نظر العارفين

من المباحث المهمة فى هذا الشأن التفريق بين الولاية وبين النبوة التى تثبته المباحث العرفانية، ومن خلال ذلك يمكن الاستفادة من إمكانية الولى فى التصرف، ففى بحثه فى تقسيم الولاية أشار العلامة الشيخ حسن زادة الآملى ما استفاده من فصوص الحكم:

الولاية تنقسم بالعامة والخاصة.

والأُولى تشتمل على كل من آمن بالله وعمل صالحاً على حسب مراتبهم، كما قال الله تعالى:

((اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)) (1).

والثانية تشتمل على الواصلين من الساكلين فقط عند فنائهم فيه، وبقائهم به، فالخاصة عبارة عن فناء العبد فى الحق، فالولى هو الفانى فيه الباقى به، وليس

1- البقرة: 257.

المراد بالفناء هنا انعـدام عين العبـد مطلقاً بل المراد منه فناء الجهـة البشـرية من الجهـة الربانيـة، إذ لكل عبدٍ جهة من الحضـرة الإلهية هى المشار إليها بقوله:

((وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا))(1).

وذلک الإنصاف لا يحصل إلا بالتوجه التام إلى جناب الحق المطلق سـبحانه، إذ به يقوى جهـة حقيقـة فتغلب جهـة خلقيته إلى أن يقهرها ويفنيها بالأصالة كالقطعة من الفحم المجاورة للنار فانها بسـبب المجاورة والاستعداد لقبول النارية والقابلية المختفية فيها تشتعل قليلاً قليلاً إلى أن تصير ناراً فيحصل منها ما يحصل من النار من الإحراق والإنضاج والإضاءة وغيرها، وقبل الاشتعال كانت مظلمة كدرة باردة.

وذلک التوجه لا يمكن إلا بالمحبة الذاتية الكامنة فى العبد وظهورها لا يكون إلا بالاجتناب عما يضادها ويناقضها وهو التقوى عما عداها، فالمحبـة هى المركب، والزاد التقوى، وهذا الفناء موجب لأن يتعين العبد بتعينات حقانية إلهية وصـفات ربانية مرة أخرى وهو البقاء بالحق، فلا يرتفع التعين منه مطلقاً، وهذا المقام دائرته أتم وأكبر من دائرة النبوة لذلک انختمت النبوة، والولاية دائمة، وجعل الولى اسـماً من أسـماء الله تعـالى دون النبى، ولمـا كانت الولايـة أكبر حيطـة من النبوة وباطناً لها شـملت الأنبياء والأولياء، فالأنبياء أولياء فانين فى الحق باقين به منبئين عن الغيب وأسراره بحسب اقتضاء اسم الدهر إنبائه وإظهاره فى كل وقت وحين منه(2).

1- البقرة: 148.

2- الفصل الثانى عشر من مقدمات شرح القيصرى على فصوص الحكم: 45 ـــ 46.

والمثير للانتباه أن هـذا المبحث الذى ذكره ابن عربى وهو من علماء أهل السـنة ينسـجم وتوجهات المدرسة الإمامية فى رؤيتها للولى وهو الإمام، فمقام الولايـة متقـدم على مقام النبوة كما قرره ابن عربى وهى رؤيـة الإماميـة فى مقام الإمام ـــ وقـد أشـرنا إلى ذلک فى محله من البحث كما مرّ ـــ فقـد روى فى الكافى عن الصادق عليه السـلام: ان الله عزوجل اتخـذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وأن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وان الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وان الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال:

((إِنِّى جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)) (1).

قال عليه السلام: فمن عظمها فى عين إبراهيم قال: ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين.

قال: لا يكون السفيه إمام التقى(2).

وعن المفيـد بسـنده عن درست وهشـام عنهم عليهم السـلام قال: قـد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام حتى قال الله تبارک وتعالى إنى جاعلک للناس إماماً قال ومن ذريتى فقال الله تبارک وتعالى: لا ينال عهدى الظالمين، من عبد صنماً أو وثناً أو مثالاً لا يكون إماماً(3).

فالإمامـة ـــ وهى الولايـة فى مفهوم الإماميـة ـــ رتبة متقدمة على النبوة، وبذلک يتفق الباحثون من الفريقين فى تقدم هذه الرتبة وأولويتها على النبوة، وهى ثوابت أكدتها روايات أهل البيت عليهم السلامكما مر.

1- البقرة: 124.

2- الميزان فى تفسير القرآن 1: 279.

3- نفس المصدر.

المنهج التأصيلی للولاية التكوينية فی مفهوم أهل السنة

اشارة

لم يتبلور مصطلح «الولايـة التكوينيـة» عند الشـيعة فی بحوثهم إلا فی وقت متأخر، إلا أن المفهوم كان متعارفاً متداولاً، والمصـطلح كان وسـيلة تقريبية لمسألة التنظير لهذا المفهوم، ففی مباحث المتقدمين يُعد مفهوم الولاية التكوينية أمراً مفروغاً منه إلا أنه لم يجمعها مصطلح يساهم فی تسهيل الفهم التحقيقی لدى الباحثين.

وهكـذا مباحث أهل السـنة فهی من الأولى أن لا تجتمع تحت مصـطلح يوحـد مفاهيم الولايـة التكوينية، ووجه الأولوية كون أهل السـنة تعاطوا مع مباحث الإمامة على أساس الرؤية السـياسة التی تنظّر الخليفة كونه حاكماً سياسـياً وليس مرشداً دينياً يتولى الشأن الدينی بقدر ما يتعهـد بالشأن الـدنيوی، لنظريـة الفصل بين الشؤون الدينية والشؤون الدنيوية للخليفة، فقد نظّروا للخلافة بأنها منصب دنيوی يقوم الخليفة بأعبائه وذلک فی عهـدٍ مبكرٍ من الصـدر الإسـلامی الأول بعد أن وزّع الخليفة الثانی مهام خلافته وجعل الأمر المالی له دون الإفتاء حيث قال: أيها الناس: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبیّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت،

ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى، فان الله جعلنى له خازناً وقاسماً(1).

وهذا التقسيم يعنى التخلى عن الأمر الدينى بشكلٍ يساهم فى رؤية تنظيرية تدفع بالخليفة الإسلامى إلى حاكم سياسى صرف، وإذا كان الأمر كذلك فان الخليفة الإسلامى المتنصل عن مسؤولياته الدينية سيقوم بالعبء الإدارى للأمور الدنيوية كذلك، وسيُلغى مفهوم الحاكمية لله بواسطة الخليفة، وبهذا فقد كانت وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم انقلاباً لكثير من المفاهيم الإسلامية، ومنها مواصفات الخليفة وشرائطه، إلا أن ذلك لا يعنى إلغاء المفهوم الولايتى للأمر التكوينى الذى يمتاز به الولى أو الخليفة الشرعى وهو المعصوم، بل كانت المباحث فى هذا الشأن تأخذ مساحةً مهمة وتتعاطى بجدية تامة مع واقع الولاية التكوينية للأولياء، أى أن هناك فاصلاً تنظيرياً بين بحث إمكانية الولاية التكوينية وبين إمكانية الخليفة على التصرف فى التكوينيات، فبعد فصل الخليفة السياسى لمهامه الدنيوية عن حقيقة تحّمل مسؤولياته الدينية، نضجت فكرة البحث التنظيرى للولاية التكوينية للأولياء لكنه بمعزل عن إمكانيات الخليفة ومهامه.

إلا إننا لا ننكر ما قدّمه بعض المتأخرين فى تحقيق هذه الولاية بقوله عند تعريفه لكرامات الأولياء حيث قال:

الكرامات جمع كرامة وهى فى اللغة «الشرف» من الكرم الذى يعين شرف الشىء فى نفسه أو فى خلق من الأخلاق، أو الإكرام: الذى هو إيصال نفع إلى الإنسان، لا يلحقه فيه غضاضة أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئاً كريماً أى شريفاً.

1- تاريخ الحديث النبوى بين سلطة النص ونص السلطة: 145 للمؤلف.

أما فى الاصـطلاح الشـرعى فقـد عرّف ابن عابـدين الكرامة: بأنها ظهور أمر خارق للعادة على يد عبد ظاهر الصـلاح، ملتزم لمتابعة نبى من الأنبياء، مقترناً بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح غير مقارن لدعوى النبوة.

فامتازت الكرامة بعدم الاقتران بدعوى النبوة عن المعجزة وبكونها على يد ظاهر الصلاح وهو الولى عما يسمونه معونة، وهى الخارق الظاهر على أيدى عوام المؤمنين تخلصاً لهم من المحن والمكاره، وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراج، وبمتابعة نبى قبله عن خوارق مدعى النبوة المؤكدة لكذبه المعروفة بالاهانة، كبصق مسيلمة فى بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة، فصار ملحاً أجاجاً.

وقد ذهب أهل السـنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين وغيرهم خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم، إلى أن ظهور الكرامة على الأولياء جائز عقلاً لأنها من جملـة الممكنات، وأنها واقعـة نقلاً مفيداً لليقين من جهة مجىء القرآن بها، ووقوع التواتر عليها قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز(1).

وقال ابن تيميـة: وكرامات الأولياء حق باتفاق أهل الإسـلام و السـنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن فى غير موضع، والأحاديث الصـحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، إنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم(2).

1- أنظر الموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية الجزء 45 صفحة 179 الطبعة الأولى 2006 م.

2- نفس المصدر.

الولاية التكوينية تساوق المعجزة فی مفهوم أهل السنة

اشارة

تساءلنا فيما سبق عن ماهية الولاية التكوينية لدى المعصوم وقلنا هل هی المعجزة أم هی ماهية أخرى تتناسب معها خصائص المعصوم، واقترحنا، أن تكون نتيجة التساؤل هو التسليم لأنها فی ضمن المفهوم الغيبی الذی لا يمكن خرقهُ أو الوصول إلى كنهه. إلا أن ما يحدث فی المفهوم السنی أن الولاية التكوينية هی من سنخ المعجزة التی يتحدّى بها النبی قومه أو هی الكرامة لما دون الأنبياء، لأنها خرق للعادة المألوفة لدى الناس، وإن كان بعضهم يوعز ذلک إلى مختصات الولی وقابلياته إلا أنه لم يقف بعد عند ماهية هذه المختصات ويبدو أنه أحالها إلى الأمر الغيبی كذلک.

والظاهر أن الفرق بين المعجزة وبين الولاية، أن المعجزة حالة خرق الأمور الطبيعية والنواميس الكونية فی مقام التحدی ولغرض تصديق الدعوى، فی حين تعد الولاية أعم من ذلک إذ هی تأخذ خصوصيات المعجزة وأكثر، فالولاية هی خصوصية لدى المعصوم تُفاض عليه من قبله تعالى، فی حين آن الإعجاز هو شبيه باستجابة الدعاء للولی إذا أضطر إلى إثبات دعواه فی مقام التحدی.

فمفهوم المعجزة اختاره التفتازانی عند تنظيره لذلک قائلاً: المبحث الثانی: المعجزة، أمر خارق للعادة مقرون بالتحدی وعدم المعارضة، وقيل أمر قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة والرسالة، وزاد بعضهم قيد موافقة الدعوى. وبعضهم مقارنة زمن التكليف إذ عند انقراضه تظهر الخوارق «لقصد التصديق» ثم قال تعليقاً على ذلک:

«المعجزة» مأخوذ من العجز المقابل للقدرة، وحقيقة الإعجاز إثبات العجز استعير لإظهاره، ثم أُسند مجازاً إلى ما هو سبب العجز، وجعل اسماً له.. إلى أن

يقول: والمعجزة فى العرف أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّى مع عدم المعارضة، وإنما قال: أمر ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين الأصابع وعدمه كعدم إحراق النار، ومن اقتصر على الفعل جعل المعجز ههنا كون النار ((بَرْدًا وَسَلَامًا))(1) وبقاء الجسم على ما كان عليه من احتراق، واحترز بقيد المقارنة للتحدى عن كرامات الأولياء، والعلامات الارهاصية التى تتقدم بعثة الأنبياء، وعن أن يتخذ الكاذب معجزة مَنْ مضى من الأنبياء حجّة لنفسه ويقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة، كذا ذكره الإمام الرازى(2).

هذا هو مفهوم المعجزة عند الرازى ومن تبعه، فقد فسّر الأمر الخارق للعادة الذى يحصل عند الأنبياء بالمعجزة.

إلا أن التفتازانى يغوص فى أعماق هذا البحث ليشير إلى النفس وهى تتسامى فى كمالاتها لتُحدث خرقاً للعادة وأمراً تُظهر فيه النفس قوتها وإرادتها.

قال فى حديثه عن النفس: قال الحكماء: إنّ الإنسان يحتاج فى تعيّشه إلى اجتماع مع بنى نوعه، وتشارک لا يتم إلا بمعاملات تفتقر إلى قانون متفق عليه يقرره على ما ينبغى من تميز عن الآخرين بخصوصية من قبل خالق الكل، وآيات تقتضى الإقرار به، والانقياد له، وهى بحسب القوة الإنسانية الاطلاع على المغيبات لاتصال النفس بعالم الغيب وبحسب القوة الحيوانية، باعتبار الحركات ظهور أفعال يعجز عن أمثالها أمثاله، لحدوث رياح وزلازل وحرق وغرق وهلاک أشخاص ظالمة، ومدن فاسدة ونحو ذلک، لاختصاص النفس بقوة التصرف فيما عدا بدنها من الأجسام،

1- الأنبياء: 69.

2- شرح المقاصد 5: 11.

وباعتبار السكنات، الإمساک عن القوت مدة غير معتادة لانجذاب النفس إلى عالم القدس، واستتباعها القوة الغاذية وخوادمها، ومن ههنا جاز أن تتمثل لقوته المتخيلة الكاملة العقول المجردة والنفوس السماوية، سيما العقل الفعال الذى له زيادة اختصاص بعالم العناصر أشباحاً مصورة تخاطبه، وتحدث فى سمعه كلاماً منظوماً يحفظ ويتلى، وهذا هو الوحى ونزول الملک والكتاب، وأما كون ذلک من الله تعالى لنظام المعاش ونجاة المعاد، وصلاح العباد مع نفى القصد والغرض من أفعاله، والعلم بالجزئى على الوجه الجزئى فى أوصافه، فقرروه بان العناية الإلهية أعنى إحاطة علمهٌ السابق بنظام الموجودات على الوجه اللائق تقتضى فيضان ذلک النظام على الترتيب والتفصيل الذى من جملته وجود الشروع والشارع ليكون الموجود على وفق المعلوم، ولإخفاء فى أن هذا لا يكفى فيما ثبت الضرورة من الدين((1).

تقريرات التفتازانى لكلام الفلاسفة

اشارة

هذا ما قرره التفتازانى من كلام الفلاسفة، وقد وافقهم فى احتياج الناس إلى مبعوث من قبل الله تعالى ينظّم لهم معاشهم ويهديهم إلى الرشد والصلاح، ثم أخذ يقرر بعض فقرات ما ورد فى كلامهم وسنوجزه بالنقاط التالية:

أولاً: النفوس القدسية

أن يكون [أى النبى] كاملاً فى قوته النفسانية أعنى الإنسانية والحيوانية المدركة والمحركة، بمعنى أن نفسه القدسية بصفاء جوهرها، وشدة اتصالها بالمبادئ العالية المنتقشة بصور الكائنات ماضيها وحاضرها وآتيها، وقلة التفاتها إلى الأمور

1- (1)شرح المقاصد 5: 11.

الجاذبـة إلى الخسـة السافلـة تكون بحيث يحصـل لهـا جميع ما يمكن للنوع دفعه أو قريباً من دفعه، إذ لا بخل هناک، ولا احتجاب، وإنما المـانع هو انجـذاب القوابـل إلى عالم الطبيعـة وانغماسـها فى الشواغل عن عالم العقل، وأن قوته المتخيلـة تكون بحيث يتمثل لها العقول المجردة صوراً وأشباحاً يخاطبونه ويسمعونه.

ثانياً: الإطلاع على المغيبات

قـال: وليس ببعيـد لتحقيقه فى حـال النوم على ما تعرفه من نفسک وتسـمعه من غيرک، وسـبب ذلک اتصال النفس بالمبادئ العاليـة، أعنى العقول والنفوس السـماوية المنتقشة بصور ما يسـتند إليها من الحوادث لما تقرر من أنها عالمة بذواتها، وأن العلم بالعلل والأسـباب يوجب العلم بالمعلولاـت والمسـببات، غايـة الأـمر أن علم العقول بـالحوادث لا يكون إلا على وجه كلى خالٍ من قيـد الهذيـة وخصوص الوقتية والكاملون قـد يـدركونها على الوجه الجزئى، أما يجعلها جزئيـة بمعونـة الحواس الباطنة على ما قررها الحكماء، وأما لارتسامها فى النفوس السـماوية، كذلک على ما يراه بعضـهم، ومعنى اتصال النفس بالمبادئ العالية صـيرورتها مسـتعدة لفيضان العلوم عليها بحصول القوى لها وزوال المانع أعنى الشواغل الحسـية عنها، بمنزلة مرآة مجلوة تحاذى شـطر الشـمس، ولا يلزم من ذلک انتقاشها بجميع ما فى المبادئ من الصور، لأن قبول كل صورة استعداداً يخصها.

ثالثاً: التأثير على القضايا الكونية

«انّ ما يحدثه الولى من أفعال يعجز غيره الإتيان بها» قال التفتازانى معلّقاً على ذلک: فيجوز أن يكون بعض النفوس من القوة بحيث تتصرف فى أجسام أُخر غير بدنها، بل فى كلية العناصر حتى كأنها نفس لعالم العناصر.

رابعاً: تأثير الإمساك عن الطعام

قـال: كمـا فى بعض الأمراض لاشـتغال الطبيعـة بهضم الأخلاط الفاسـدة، وتحليل المواد الرديـة عن تحليل المواد المحمودة والرطوبات الأصلية المحوج إلى البدل، فيجوز فى حق الأشخاص الكاملين لانجذاب نفوسهم إلى جناب القدس بالكلية، واستتباعها القوى الجسمانية التى بهـا الهضم والشـهوة والتغذيـة وما يتعلق بـذلک، بل لا يبعـد أن يكون هـذا من حق هؤلاء، أولى وأقرب منه فى المرض لكون احتياج المريض إلى الغذاء أوفر وأوفى.

خامساً: نزول الوحى وظهور الملک

قال فى تقريره لـذلک: أن النائم ومن يجرى مجراه فى عـدم استيلاء الحواس عليه قـد يشاهـد صوراً غريبة، ويسـمع أصواتاً عجيبة، وليسـت بمعدومـة صـرفة ولا موجودة فى الخارج، بل فى القوة المتخيلـة والحس المشترک، وربما لا يكون متأدية إليه من طرق الحواس الظاهرة، بل من عالم آخر، فلا يبعـد أن يكون لبعض أفراد الإنسان نفس شـريفة شديـدة الاتصال بعالم العقل، قليلة الالتفات إلى عالم الحس، ومتخيلة شديـدة جـداً قويـة التلقى من عالم الغيب، قليلة الانغماس فى جانب الظاهر، لا يعصـيها المصورة، ولا يشـغلها المحسوسات عن أفعالها الخاصـة، ويحصـل لـذلک الإنسان فى اليقظـة أن يتصل بعالم الغيب ويتمثل لقوته المتخيلـة العقول المجردة والنفوس السـماوية أشـباحاً مصورة سـيما العقل الفعال الذى له زيادة اختصاص بعالم العناصر، فتخاطبه وتُحدث فى سمعه كلاماً مسموعاً يحفظ ويتلى، ويكون ذلک من قبل الله وملائكته لا من الإنسان، وهـذا معنى الوحى ونزول الملک والكتاب، وقـد يكون ذلک على غايـة الكمال، فيعبر عنها بمشاهد، وجه الله الكريم وسماع كلامه من غير واسطة(1).

1- نفس المصدر.

ما ذكره الشهرستانى فى الملل والنحل

يُعدّ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى من أهم علماء أهل السنة المهتمين بأحوال الملل والنحل واختلافاتها، ويُعدّ كتابه «الملل والنحل» من أهمّ تلك المصادر المهمة فى هذا الشأن، كما أن ما ذكره الشهرستانى فى شؤون المعجزات والكرامات يُعد مؤشراً مهماً فى إحداث التقارب فى وجهات نظر علماء المسلمين حول التصرف للولى، فقد قرر كلام ابن سينا وجعله منطلقاً لتفسير هذه الإمكانيات الخارقة عند الولى حيث قال:

خصائص المعجزات والكرامات ثلاث: خاصية فى قوة النفس وجوهرها ليؤثر فى هيولى العالم بإزالة صورة وإيجاده صورة، وذلك أن الهيولى منقادة لتأثير النفوس الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية فى العالم، وقد تبلغ نفس إنسانية فى الشرف إلى حد يناسب تلك النفوس فيفعل فعلها وتقوى على ما قويت هى، فتزيل جبلاً من مكانه، وتذيب جوهراً صلباً فيستحيل، وتجمد جسماً سائلاً فيستحيل جحراً، ونسبة هذه النفس إلى تلك النفوس كنسبة السراج إلى الشمس، فكما أن الشمس تؤثر فى الأشياء تسخيناً بالإضاءة كذلك السراج يؤثر بقدرة، وأنت تعلم أن للنفس تأثيرات جزئية فى البدن، فانه إذا حدث فى النفس صورة الغلبة والغضب حمى المزاج واحمّر الوجه، وإذا حدثت صورة مشتهاة فيها حدثت فى أوعية المنى حرارة مبخرة مهيجة للريح حتى يمتلئ به عروق آلة الوقاع فتستعد له والمؤثر ها هنا مجرد التصور لا غير.

والخاصية الثانية أن تصفو النفس صفاءً يكون شديد الاستعداد للاتصال بالعقل الفعال حتى يفيض عليها العلوم، فإننا قد ذكرنا حال القوة القدسية التى

تحصل لبعض النفوس حتى تستغنى فى أكثر أحواله عن التفكر والتعليم الشريف البالغ منه.

((يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ)) (1).

والخاصة الثالثة للقوة المتخيلة بأن تقوى النفس وتتصل فى اليقظة بعالم الغيب ـــ كما سبق ـــ وتحاكى المتخيلة ما أدركت النفس بصورة جميلة وأصوات منظومة، فيرى فى اليقظة ويسمع فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة فى غاية الحسن وهو الملك الذى يراه النبى وتكون المعارف التى تتصل بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع فى الحس المشترك فيكون مسموعاً والنفوس وان اتفقت فى النوع إلا أنّها تتمايز بخواص وتختلف أفاعيلها اختلافات عجيبة، وفى الطبيعة أسرار لاتصالات العلويات بالسفليات عجائب، وجل جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد، وأن يرد عليه إلا واحد...

ثم قال الشهرستانى بعد هذا الكلام: وبعد فما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل عبرة للمحصِل، فمن سمعه فاشمأز عنه فليتهم نفسه فلعلها لا تناسب وكل ميسر لما خلق له(2).

ولعل ما ذكره الشهرستانى من كلام ابن سينا ينسجم مع كثير من مذاهب علماء أهل السنة فى رؤيتها للنفس وإمكانية حدوث الكرامة والقابلية على التصرف، إذ فلسفة ابن سينا مال إليها الكثير لمحاولاته فى المزاوجة بين الدين والفلسفة بما يناسب وتوجهات الكثير من علماء الفريقين.

1- النور: 35.

2- الملل والنحل للشهرستانى 3: 64.

ما قرره الآلوسی فی مسألة التصرف فی التکوینات

ویذعن الآلوسی بمسألة الکرامة للولی و إمکانیة تصرفه فی الأمور التکوینیة وفقاً للمصلحة، إلا أنه التزم بأن ما حصل لآصف من التصرّف هو إعدامٌ ثم إیجاد، أی إعدام العرش ثم إیجاده فی لحظات وهی قدرة هائلة یمتلکها الولی قال: وقد اتفق البر والفاجر علی وقوع ما هو أعظم من ذلک وهو قطع الشمس فی طرفة عین ألافاً من الفراسخ مع أن نسبة عرش بلقیس إلی جرمها نسبة الذرة إلی الجبل، وقال الشیخ الأکبر قدس سره: أن آصف تصرف فی عین العرش فأعدمه فی موضعه وأوجده عند سلیمان من حیث لا یشعر أحدٌ بذلک إلا من عرف الخلق الجدید الحاصل فی کل آن وکان زمان وجوده عین زمان عدمه وکل منهما فی آن وکان عین قول آصف قول الفعل فی الزمان فان القول من الکامل بمنزلة کن من الله تعالی.

ومسألة حصول العرش من أشکل المسائل إلا عند من عرف ما ذکرناه من الإیجاد والإعدام، فما قطع العرش مسافة ولا زویت له أرض ولا خرقها. قال الآلوسی: وما ذکره من أنه کان بالإعدام والإیجاد مما یجوز عندی وان لم أقل بتجدد الجواهر تجدد الاعراض عند الأشعری إلا أنه خلاف ظاهر الآیة، واستدل بها علی ثبوت الکرامات(1).

واعتراف الآلوسی بکرامات الأولیاء و إمکانیة تصرفهم، یساهم فی تأکید مقالة هذه الولایة التکوینیة فی مفهوم أهل السنة وتوفرها لدی الأولیاء ویدفع ما رُمی به الشیعة الإمامیة من تهمة الغلو فی أئمتهم علیهم السلام.

1- روح المعانی للآلوسی 9: 268.

التوافق فی المبانی والمفاهیم

نستخلص مما ذکرناه من رأی الإمامیة وأهل السنة فی حقیقة التصرف التکوینی للأولیاء بالتقریرات المتقدمة حول النفس ودواعیها، والقوی المترتبة علیها، وإمکانیة التصرف التابع لقوة النفوس وتعلقها القدسی.

انّ ما یمکن استفادته من ذلک التوافق أُمور:

أولاً: اعتراف جمیع المسلمین بإمکانیة الولی علی الولایة التکوینیة، والتصرف بالکون علی أساس الإمکانیة المتوفرة لدیه.

ثانیاً: انّ ما یدّعیه الشیعة الإمامیة فی حق أئمتهم لم یکن ضرباً من الغلو، أو هو الغلو الذی حاول بعضهم إلصاقه بالشیعة، جراء ما یرونه من روایات تؤکد إمکانیة الولی بالتصرف التکوینی کما تصرف الأنبیاء من قبلهم کسلیمان فی تسخیر الریح، وعیسی فی إحیاء الموتی، وموسی فی انقلاب العصا إلی أفعی، إلی غیر ذلک من التصرفات التی استطاع بها الأنبیاء إثبات صدق دعواهم، أو بما تقتضیه المصلحة من التحدی وعدمه من أجل التبلیغ والإنذار.

ثالثاً: ما بحثه علماء الإمامیة فی مباحث النفس وإیکال أمر هذه القوة إلی نفس الولی أذعن به علماء أهل السنة من ارتقاء النفس إلی مراقی القدس والکمال.

رابعاً: تُعدُ هذه البحوث محاولة لإیقاف الحملات الظالمة التی یشنها البعض علی الشیعة والتثقیف ضدهم باتهامهم فی مقالاتهم لأئمتهم، فی حین یستطیع الباحث من المذاهب الإسلامیة مراجعة مصادر أهل السنة فی ولایة الولی التکوینیة، لتساهم هذه البحوث علی توحید الصف، ووحدة الکلمة، ودحر أولئک المغرضین والمعاندین.

الولاية التكوينية والعلم الحديث... قراءة تجريبية

اشارة

لم تقتصر مباحث إرادة النفس وقابلياتها على المسألة العقائدية وحدها، فالعلوم التجريبية لم تغفل هذه الظواهر، وإذا كان التفسير الدينى قد أعطى إجابته لظاهرة الولاية التكوينية على أساس النص، فان العلوم التجريبية حاولت أن تشارك الرؤية الدينية فى توجهاتها؛ لا على أساس دعم الظاهرة الدينية، بل على أساس الاستجابة الملحة لتساؤلات الإنسان لإمكانية تأثير النفس على التكوينيات واستجابة هذه التكوينيات لقابلية النفس الفذة على التأثير بها.

فالجمعيات الروحية وبحوثها قدّمت رؤاها على أساس محاولاتها التجريبية فخرجت بنتائج لا تختلف عن تلك التى ذكرتها النصوص الدينية.

فمن ذلك ما أثبته عالم النفس المعاصر جوزف ـــ ت ـــ راين من أن القوى العقلية لها تأثير فى المادة بقوله: أن القوى العقلية يمكنها أن تؤثر فى المادة تأثيراً عملياً وان هذا التأثير العقلى فى المادة لا ينشأ عن قوة فيزيائية.

وأضاف أيضاً من خلال تجاربه أن ظاهرة تأثير العقل فى المادة المتصلة وثيق الصلة بظاهرة الإدراك عن غير طريق الحواس، وأن الظاهرتين تتحدان عملياً ومنطقياً، وعندما يجىء تفاعل العقل مع المادة عن طريق الحس العادى يوصف بأنه إدراك عن غير طريق الحواس، أما عند ما ينتج هذا التفاعل تغييراً حركياً فيما حوله من مادة بغير واسطة فيزيائية، فانه يوصف كحركة عقلية.

ومما قاله العلامـة «راين» عن نتائـج بحوثه فى جامعـة «ديوك» فى هذا الشأن: أن للعقل قوة تسـتطيع التأثير فى المادة، ومهما كانت الطاقة المحركة وأياً كان نشاطها فانها تفعل للمادة شيئاً يمكن قياسه إحصائياً، فهى تُحدث نتائج فى البيئة المادية لا يمكن تعليلها بأى عامل أو نوع من الطاقة معروف لعلم الطبيعة، وعلى أية حال لابد أن نفترض وجود طاقة(1).

إنّ تقـارير العلمـاء التجريبيين والتى تعبّر عن قوة النفس وتأثيرهـا بالمادة، بالقوة العقليـة تتفق وما ورد فى النصوص الدينيـة فهى تعتمـد فى نتائجها على التجارب التى أجريت فى المختبرات العلمية.

إنّ المثير فى الأمر هو قيام المحافل العلميـة الأوربيـة للاهتمام بهذا الأمر، وقد ساهمت تجارب العلماء فى الشأن الروحى قسـطاً وافراً من تمتين هذه القضية وتعزيزها على أساس المستوى المختبرى.

المعجزة.. نتائج العلوم المختبرية

اشارة

أكـد الباحـث الـدكتور رؤوف عبيـد فى كتابة «الإنسان روح بلا جسد» أن علم الروح الحديث أو المختبرى «نجح فى إثبات إمكان حدوث المعجزات الموصوفـة فى الكتب المقدسـة، فالعلم الروحى لا ينحو نحو العلم المادى من حيث إنكار كل ظاهرة غير مألوفة يعجز الإدراك المساوى عن تصورها أو عن تعليلها، بل أنه قد يسـلّم بصـحة بعض الظواهر غير المألوفة أو غير العادية بشـرط أن تصـمد للاختبار الكافى، ولوسائل التحقيق الدقيقة، فهو فى حقيقته دراسة معملية للظواهر غير

1- الطاقة الخفية والحاسة السادسة د. شفيق رضوان: 29.

المألوفة أو غير العادية بوجه عام، أساسها هو عدم إنكارها مقدماً لمجرد العجز عن تعليلها تعليلاً مادياً.

وأساس هذه الدراسة هو التسليم بوجود قوى للإدراك رباعية الأبعاد.. أى تشمل الطول والعرض والارتفاع والزمان فى وقت واحد وتجمع بينها، فلاتعرف هذه القوى بالتالى بفواصل الزمان أو المكان فى عقل الإنسان وحواسه، والكتب المقدسة تفيض بوصف ظواهر غير مألوفة وغير عادية، بل لا نغالى إذا قلنا أن شتى أنواع الظواهر الروحية موصوفة فيها، وقد عنى بإبراز هذه الحقيقة نخبة من العلماء والباحثين تحت لواء العلم والعقيدة معاً، ممن وجدوا فى العلم الروحى الحديث وسيلة علمية لتوضيح الحقائق العقيدية وتقريبها على أسس عصرية يمكن أن تتقبلها عقول الكافة(1)... ثم يضيف: بيّنا كيف كان هذا العلم الروحى الوليد مصدر أضواء جديدة على بعض جوانب الاعتقاد، وفى نفس الوقت كان بمثابة دعوة صريحة لإقامة فقه من الإيمان الموضوعى المترابط الذى ينبغى أن تندمج فيه حكمة الحكماء بعلم العلماء، فلا يعتبران بابين للمعرفة منفصلين، بل باباً واحداً، ما دام العلم والعقيدة معاً هما عبارة عن البحث فى قوانين الله تعالى، وهو واحد لا يتعدد بتعدد نواحى البحث والاستقصاء فى سنته وأحكامه لنفهمها على أصولها الصحيحة، تستوى فى ذلك نواحى البحث فى المادة والطاقة مع نواحى البحث فى النفس والخلق والروح.. حررت الأصول العقيدية ـــ ولله الحمد ـــ على النقد العلمى وتبين أن التفكير الدينى يمكن أن يصبح فى جوهره تفكيراً علمياً إذا عرف كيف يتطور ـــ ولو قليلاً ـــ مع تطور المعرفة اليقينية خصوصاً منها المعرفة الروحية،

1- الإنسان روح بلا جسد، رؤوف عبيد: 619.

ويتفهم البنيان السماوى فى العقائد على نحوه الصحيح ثم ـــ وهذا هو الأهم ـــ إذ اعرف كيف يميزه عن البنيان الإنسانى الذى كاد أن يبتلع كل ما عداه ويخفى رونقه وبهاه، فلا ضير إذن فى تعقل العقيدة ولو أدى التعقل إلى مقدار من التطور فى فهمنا لها مادام التطور فى المعرفة هو سبيل الارتقاء، بل هو سبيل البقاء فى وجود تنازع البقاء حتماً، وهذه هى سنة الله التى لن تجد لها تبديلاً، وفى هذا الشأن يلاحظ الفيلسوف وليام جيمس بأن تاريخ الأديان خير شاهد على التطور فيحدثنا بأن كثيراً من الفروض الدينية التى لم تنجح فى التطبيق على الحياة العملية قد أندحر عندما واجه المعارف الكونية الرهيبة، وصار بعد ذلك فى حيز النسيان فى حين أن بعضاً آخر منها احتفظ بكيانه على طول الأيام ولم يزده فى الأيام إلا جدةً وحيوية على الرغم من كل ما لاقى من محن وشدائد، ومهمة علم الأديان أن يبين لنا وبإخلاص تلك الفروض التى عاشت وتحدّت الشدائد... ولا ضير على رجل العلم وعلى مهمته من الجدل الدينى فى عصره ما دام هناك شىء من الحرية الفكرية ومن العدل والإنصاف... لذلك وجب على رجل العلم أن يرحب بكل أنواع الجدل الدينى(1)...

لقد حاول البعض أن يقرأ إمكانيات النفس وقابلياتها على أساس المنطق التجريبى، والعمل المختبرى حيث راح هؤلاء إلى العمل بالبحث الروحى واستخلاص نتائج باهرة فى إمكانيات النفس وقابلياتها، وفى الحقيقة أن مثل هذه البحوث حاولت أن تقلل الهوة الساحقة بين العلم والدين ونجحت أيما نجاح فى إذعان بعض الأوساط التى تتعامل مع الأمور الغيبية على أساس الدليل العلمى

1- الإنسان روح بلا جسد د. رؤوف عبيد: 619 وما بعدها.

والبرهـان العقلی، مع أننـا ننکر صـحة هـذا التوجه إذ الإیمان بالغیب مبنی فی حقیقته علی التسـلیم لقـدرة الله تعالی والإقرار لسـلطانه فلا یحتـاج بعـد ذلـک المؤمن السوی إلی التسـاؤل عن کیفیـة حـدوث هـذا وإیجاد ذاک، إلا أن المسألـة حینما تأخـذ أبعاداً أخری فی التردد والتشـکیک بإمکانیـة ذلک أو إدخالها فی مفهوم الخرافة والعبث عند ذلک لابد أن تُسدد العقیدة الدینیة ـــ ولو علی المسـتوی الإقناعی ـــ ببحوث تساهم فی رفع الشک والحیرة عن البعض.

وفی کتابه «الغیب والشهادة» أکد العلامة الشیخ محمد رضا کاشف الغطاء فائدة مثل هذه العلوم فی رفع الشکوک والتردد عن البعض، فقد نقل کلام أحـد علماء الفسـلجة الأوربیین مکتشف قاموس الانتخاب الطبیعی [کما عبّر عنه]: لقـد کنت دهریاً صـرفاً مقتنعاً بمـذهبی تمام الاقتنـاع، ولـم یکن فی ذهنی أدنی محـل للتصـدیق بحیـاة روحیـة ولاـ بوجـود عامـل فی هـذا الکون کلّه غیر المـادة وقوّتهـا، ولکنی رأیت المشاهدات الحسـیة لن تغالب فإنّها قهرتنی وأجبرتنی علی اعتبار أشیاء مثبتة قبل أن أعتقد نسبتها إلی الأرواح بمدة طویلة، ثم أخذت هذه المشاهدات مکاناً من عقلی شـیئاً فشـیئاً ولم یکن ذلک بطریقة نظریة تصوریة ولکن بتأثیر المشاهدات التی کان یتلو بعضها بعضاً بطریقة لا یمکن التخلص منها بوسیلة أخری(1).

لقد انتشـر هذا العلم الروحی فی أوساط المجتمعات المادیة التی تشـکو من حالة التراجع العقائدی بشـکل خطیر، إذ هی لا تذعن إلا إلی المادة، إلا أن مثل هذه البحوث ساعدت الکثیر علی الاعتراف والإذعان بحقیقة النفس وقابلیاتها

1- الغیب والشهادة: 50.

الخارقـة، فی حین تجـد أن المجتمعات الشـرقیة لم یعر أصـحابها اهتماماً واسـعاً لهذه البحوث، فالإیمان الذی تتمتع به هذه المجتمعات تحول دون البحث عن عاملٍ مساعد لتقویة عنصر الإیمان بالغیب ولوازمه.

وخلاصـة القول: أن البحوث التجریبیـة لإثبات ظاهرة غیبیـة لا تزیـدنا من الإیمان بالقدرة غیر المتناهیة لله تعالی وإفاضة ذلک علی أولیائه لیمکنهم التصـرف علی أساس المصـلحة الإلهیة، بقدر ما نحن جاهدون فی تقدیم ما یساهم من رفع التردد والحیرة عن البعض، أو لإملاء الفراغ التی تترکه ظاهرة العزوف عن الإذعان بواقع الولایـة التکوینیـة لإثبات أن ذلک لا یقتصـر علی النصوص التی بین أیـدینا، بل أن الواقع المختبری والبرهان العلمی کفیلٌ لإذعان الآخرین لهذه القدرة التکوینیة للأئمة وممارستها علی أساس المصلحة والحکمة.

وماذا عند البعض؟

ولعل ما ذکره صدّیق القنوجی البخاری فی علم الإخفاء، یضیف شاهداً آخر علی تنظیره للولایة، وأن هذا العلم لیس بالعلم المستقل بل هو من باب ولایة الشخص وخرق العادة، قال فی تعریفه لعلم الإخفاء:

وهو علم یتعرف منه کیفیة إخفاء الشـخص نفسه عن الحاضرین بحیث یراهم ولا یرونه وله دعوات وعزائم، إلا أن صاحب مدینة العلوم قال: أن الغالب علی ظنی أن ذلک لا یمکن إلا بالولایة بطریق خرق العادة لا بمباشرة أسباب یترتب علیها ذلک عادة(1).

1- أبجد العلوم: السید صدّیق القنوجی البخاری: 28 دار الکتب العلمیة.

وما ذكره الآخرون فى تأكيد الولاية يكفى أن يكون من أهم الأدلة على ثبوت الولاية التكوينية فى المفهوم الإسلامى ومن أولئک الذين أشاروا إليها من علماء أهل السنة:

ـــ العلامة ابن كثير:

قال فى معرض حديثه عن الولاية التكوينية التى عبّر عنها «بالكرامة»:

ولا شک ان كرامات الأولياء من جنس معجزات أنبيائهم، فمن طعن على الكرامات فقد طعن على المعجزات(1).

حيث يرى ابن كثير ان هناک ملازمة بين المعجز والكرامة من حيث الوقوع الإمكانى، بل وحتى من حيث السنخية، فما تقول فى المعجز تقول فى الكرامة للولى.

ـــ أمّا ابن حجر الهيثمى المكى:

قال: والحاصل إن كرامة الولى من بعض معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لكن لعظم إتباعه له أظهر الله بعض خواص النبى على يدى وارثه ومتبعه فى سائر حركاته وسكناته((2).

ـــ والفخر الرازى:

قال فى معرض الحديث عن كرامة الأولياء ومعاجز الأنبياء:

إنّ حدوث الحبل لمريم من غير الذكر من خوارق العادات، وانّها كانت من الأنبياء فوجب أن يقال: أن تكون هذه الوقائع من كرامات الأولياء((3).

1- الروضة الريا فيمن دفن بداريا 1: 72.

2- () الفتاوى الحديثة: 108.

3- () الأربعين فى أصول الدين 2: 202.

تقرير ابن عابدين فى رسائله للكرامة

ومن جملة من تحدّث عن إمكانية الكرامة وحدوثها لدى الولى هو ابن عابدين فقد قال فى معرض ذكره لذلك:

اعلم ان كل خارق ظهر على يد أحد من العارفين فهو ذو جهتين: جهة كرامة من حيث ظهوره على يد ذلك العارف، وجهة معجزة للرسول من حيث ان الذى ظهرت هذه الكرامة على يده هو واحد من أمته، لأنه لا يظهر بتلك الكرامة الآتى بها ولى إلا وهو محق فى ديانته، وديانته هى التصديق والإقرار برسالة ذلك الرسول مع الإطاعة لأوامره ونواهيه، حتى لو أدعى هذا الولى الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن ولياً(1).

كلام ابن تيمية وتقريراته للكرامة

ولم يشذ ابن تيمية فى القول بإمكان وقوع الكرامة والتأثيرات الكونية التى يمكن أن تقع للولى، بل يرى ضرورة ذلك كما ورد فى مجموع فتاواه، قال:

«فمن يجتمع له الأمران بأن يؤتى من الكشف والتأثير الكونى ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعى، وهو علم الدين والعمل به والأمر به، ويؤتى من علم الدين والعمل به ما يستعمل به الكشف والتأثير الكونى بحيث تقع الخوارق الكونية تابعة للأوامر الدينية أو أن تخرق له العادة فى الأمور الدينية بحيث ينال من العلوم الدينية ومن العمل بها ومن الأمر بها ومن طاعة الخلق فيها ما لم ينله غيره فى مطّرد العادة، فهذا أعظم الكرامات والمعجزات وهو حال نبينا محمدصلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر

1- مجموعة رسائل ابن عابدين: 2: 279 عن الموسوعة الفقهية الكويتية: 112.

الصديق وعمر وكل المسلمين، فهذا القسم الثالث هو مقتضى «إياک نعبد وإياک نستعين » إذ الأول العبادة، والثانى هو الاستعانة، وهو حال نبينا محمدصلى الله عليه وآله وسلم والخواص من أمته المتمسكين بشرعته ومنهاجه باطناً وظاهراً فان كراماتهم كمعجزاته لم يخرجها إلا لحجة أو حاجة»(1).

وكلام ابن تيمية يتضح فى إمكانية وقوع الكرامة لدى الولى لضرورة تأييده فى عمله الدينى، ومقصوده أن الولى لما أراد أن يكون مبلغاً لرسالات ربه فلابد أن يؤيد بما يعزز دعواه فى مقامه وقربه إلى الله تعالى، فإن الناس أقرب لإتباع صاحب الكرامات لارتباط ذلک بالغيب دون غيره، فى حين تكون دعوة الذى لا يملک من الكرامة شىء أقل تأثيراً إذا ما قلنا أنها معدومة التأثير.

وكلام ابن تيمية لا يخصصه زمان دون زمان، ولا يقيّده بحياة الولى بل يتعدى ذلک إلى ما بعد موته، فالموت؛ ليس انعدام بل هو حياة أخرى تثبت فيها كرامة الولى، إذ هو لم ينقطع عن تبليغ رسالته لإثبات أحقية دعواه، ولما كانت دعواه تمتد إلى ما بعد حياته فلزمت أن تكون كراماته ممتدة بوجود المقتضى وامتداد الداعى.

إنّ كلام ابن تيمية يُعد رداً على أتباعه الذين بالغوا فى إلغاء دور الولى بعد مماته، بل تعدت أرائهم إلى أنهم لا يرون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته من أثر لموته وانعدام تأثيره، ويبدو أن هناک تقاطعاً بين دعوى ابن تيمية وبين ما يدعيه أتباعه اليوم.

إن كلمات علماء أهل السنة، تؤكد على إمكان وقوع الولاية التكوينية من قبل الأولياء كما تقع المعجزة على يد الأنبياء، بغض النظر عن القناعة فى ماهية هذه الولاية وكيفية تحققها.

1- فتاوى ابن تيمية 11: 325.

التسخير السياسى المؤسف

اشارة

بالرغم من حرصنا على إثبات الولاية التكوينية للأولياء وإذعان علماء الفريقين لهذه الإمكانية فى التصرف التكوينى للولى، إلا أن مشكلة البعض تتفاقم تبعاً للظرف السياسى الذى يعيشه فهو يحاول أن يؤجج الخلاف بالانحياز إلى جهة معينة تمثل رؤيته السياسية أو الفكرية، ولم يكتفِ حتى يتجاوز الحد فى العبث بالمبادئ والقيم الفكرية والعقائدية ليصدّر رؤيته على أساسها.

تُعدّ مناقب الشخص وفضائله دليلاً على القرب لله تعالى، وإمكانية الشخص فى التصرف التكوينى هو السبيل الأكثر قبولاً والأسرع تلقياً لدى الناس ليكشف عن طاعته لله تعالى، ومن جهته اتخذ البعض هذه القابلية الخارقة وإمكانية التصرف الكونى للتحدث بها وروايتها غرضاً سياسياً مقابلاً للآخر.

فالإمام على عليه السلام وما اشتهر عنه من قابلياته فى التصرف التكوينى يعنى ذلک حجيته على غيره ممن عارضه وسعى فى إقصائه، لذا نجد أن بعضهم سعى إلى رواية مناقب معارضيه، كما عمل معاوية بن أبى سفيان ابّان عهده المعارض للإمامين على والحسن عليهما السلام، فقد وظّف طاقات رواة البلاط إلى وضع الأحاديث والمناقب له ولغيره ممن يصطف فى معارضته لعلى منهجاً وسلوكاً، فكانت مناقب أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ملأت بعض كتب الحديث، حتى تصدى لها علماء أهل السنة فأبطلوها سنداً ودلالةً.

وهذه قائمة ليبليوغرافيا الكتب التى تصدت لهذه المشكلة:

1. التذكرة فى الأحاديث الموضوعة، لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى المتوفى 567.

2. الأباطيل، لأبى عبدالله الحسين بن إبراهيم الجوزقانى المتوفى 543.

3. العقيدة الصحيحة فى الأحاديث الموضوعة الصريحة، لعمر بن بدر الموصلى المتوفى 622.

4. المغنى عن الحفظ والكتاب، لعمر بن بدر الموصلى كذلک.

5. الدر الملتقط فى تبيين الغلط ونفى اللغط، للحسن بن محمد الصاغانى المتوفى 650.

6. الموضوعات، لأبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى المتوفى 597.

7. اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطى المتوفى 911.

8. الفوائد المجموعة فى بيان الأحاديث الموضوعة لشمس الدين الشامى المتوفى 942.

9. تنزيه الشريعة المرفوعة، لأبى الحسن على بن عراق الكنانى المتوفى963.

10. تذكرة الموضوعات لمحمد طاهر الفتنى الهندى المتوفى 986.

11. الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة، للملا على القارى المتوفى 1014.

12. المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع لسابقه كذلک.

13. كشف الالتباس لما خفى على كثير من الناس، لغرس الدين الخليلى المتوفى 1057.

14. الكشف الإلهى عن شديد الضعف والموضوع والواهى، لمحمد بن محمد السندوسى المتوفى 1177.

15. الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن على الشوكانى المتوفى 1250.

16. الآثار المرفوعة فى الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن عبدالحى اللكنوى المتوفى 1304.

17. اللؤلؤ المرصوع فيما قيل فيه لا أصل له أو بأصله موضوع، للشيخ محمد بن أبى المحاسن القاوقجى المتوفى 1305.

18. تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين، لأبى عبدالله محمد بن البشير ظافر الأزهرى المتوفى 1325.

19. سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة للشيخ محمد بن ناصرالدين الألبانى.

وإنما آثرنا ذكر هذا الثبت الطويل، لما فيه من إشارةٍ واضحة على كثرة الأحاديث الموضوعة، واهتمام علماء أهل السنة فى تنقية الأحاديث الواردة فى الفضائل، بعد الهجمة التى شنها معاوية بن أبى سفيان لمقابلة ما روى من الفضائل لعلى بن أبى طالب يوم كان معاوية يتحرى مثالب الإمام، ولما لم يجد لذلك سبيلاً أغار على التراث النبوى الشريف فأقصى فضائل على وأباحها بأحاديث موضوعة له ولسلفه من المتقدمين، وسار على ذلك من اقتفى طريقته ونحى منحاه.

إسفافٌ فى غير محله

وحاول البعض أن يبث بعض المرويات التى تؤهل هؤلاء إلى مقامات واهية مدعين إمكانية تصرفهم فى التكوينيات بعد ما وجدوا من فضائل على ما ملأت الخافقين، وظاهر الوضع فى هذه المرويات واضح من حيث بطلانها سنداً ودلالةً مع أنّ هذه الفضائل لم يتسالم عليها أحد من المسلمين سوى أولئک المتربصين للروايات المقابلة لفضائل على.

وفى الوقت نفسه تُعدُ هذه المحاولات اعترافاً ضمنياً، بل وصريحاً فى إمكانية الولاية التكوينية التى تقول بها الشيعة فى أئمتهم، فى حين تجد أولئک الذين

يضـعون هـذه الأحاديث ويصدقها البعض لا يقبلون بما روى فى أهل البيت فيعدّونه ضـرباً من الغلو والمبالغة. ومهما يكن من شـىء فإنّ الروايات التى رواها البعض لتقابل فضائل على وأهل بيته تنقسم إلى منحيين:

المنحى الأوّل: هو المنحى السياسى ـــ كما ذكرنا ـــ فقد توجست المدارس السياسية المقابلة للمدرسة الإمامية من الفضائل التى ذكرتها الروايات الصـحاح فى على وأهل بيته، وعـدّوا ذلک حالة من المعارضة السياسـية لمنهجهم، فالمؤهل لمثل هذه الولاية التكوينية هو أولى بالإمامـة وخلافـة النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم، فى حين أولئک الـذين لم يمتلكوا هذه الإمكانيات لا يحق لهم دعاوى الإمامة، حيث تقرّر فى محله أن الإمامة رتبة متقدّمة على النبوة، ولها ما للنبوة من التصرّف التكوينى، كما فى نبى الله إبراهيم عليه السلام ففى قوله:

((إِنِّى جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...)).

والخطاب لإبراهيم وهو فى مقام النبوة، فلا يخاطب غير النبى أو يوحى إليه مالم يكن مؤهلاً لهذا الخطاب، وبذلک كان إبراهيم نبياً ثم صار إماماً وهذا ما نقصده من الرتبة المتقدّمة. ولما كان الأمر كذلک، فقد حاول البعض إملاء هذا الفراغ بوضع الرواية وسـرد الفضائل «حسبةً» كما بررها البعض ليحوز بهذا درجةً من القبول لدعواه السياسية.

المنحى الثانى: هو المنحى العقائـدى، فقـد حاول البعض إقحام متبنياته الفكرية على حساب المسـلمات والمبادئ، أى أن حالة المنافسـة الفكرية التى أجّجتها ظروف سياسية مرتجلة أفرزت هذه المنافسة الفكرية لإثبات أحقّية دعاواه، ولابد

من «التسلق» على مبانٍ إسلامية يُثبت من خلالها صحة ما يذهب إليه، لذا فقد عمل على خلق وجودات فكرية مناوئة لأهل البيت عليهم السلام تستلزم من خلالها المعارضة الفكرية التى تستتبع اختلاف فضائل «مناوئة» لهم.

أحاديث من المنحى الأول

اشارة

ولكى نحيط بفكرة هذا المنحى سنقف على مرويات تخلقها المنافسة السياسية المنبعثة من صراع الكيانات السياسية آنذاك.

أولاً: ما روى فى أبى بكر

لا تزال مرويات البعض تحتدم المنافسة مع مرويات الإمامية، إلا أنها أخفقت فى تصوير الواقع. فقد روى اليافعى فى روض الرياحين رواية طويلة جاء فيها: عن أبى بكر الصديق أنه قال: بينما نحن جلوس بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلّم فرددنا عليه السلام وأجلسناه بين يدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من يقضينى حاجة فى حب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر ما حاجتك يا شيخ؟ فقال: ان لى أهلاً ولم يكن عندى ما نقتات به وأريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به فى حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فنهض أبو بكر الصديق وقال: نعم أنا أعطيك ما يقوم بك فى حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: هل من حاجة أخرى، فقال: نعم أن لى ابنة أريد من يتزوج بها فى حياتى حباً فى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر: أنا أتزوج بها فى حياتك حباً فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل من حاجة أخرى؟ قال: نعم أريد أن أضع يدى فى شيبة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حباً فى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنهض أبو بكر ووضع لحيته فى يد

الأعمى وقال: أمسک لحیتی فی حب محمد صلی الله علیه وآله وسلم قال: فقبض الأعمی بلحیة أبی بکر الصدیق رضی الله عنه وقال: یا رب أسألک بحرمة شیبة أبی بکر ألا رددت علیّ بصری قال: فرد الله علیه بصره لوقته فنزل جبرائیل علیه السلام علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وقال: یا محمد، السلام یقرئک السلام ویخصک بالتحیة والإکرام ویقول لک: وعزته وجلاله لو أقسم علیَّ کل أعمی بحرمة شیبة أبی بکر الصدیق لرددت علیه بصره، وما ترکت علی وجه الأرض أعمی وهذا کله ببرکته وعلو قدرک وشأنک(1).

ومثل هذه الروایات أخذت مساحةً واسعةً من جهد المزایدات السیاسیة التی فرضتها ظروفها، فأفرزت مثل هذا التفکیر الأهوج والتعاطی الساذج مع القضایا الإسلامیة التی تخص الصمیم الإسلامی، وحینما تتابع مثل هذه الهمجیة فی استغفال الناس من قبل بعض المحدثین ینتابک شعورٌ مؤسف بأن مشاعر القارئ لا تُحترم من قبل هذه الاملاءات السیاسیة الطائشة التی تحاول أن تحط من کرامة المفاهیم الإسلامیة ومنها الولایة التکوینیة.

ثانیاً: ما روی فی عمر بن الخطاب

روی الذهبی فی سیر أعلامه: بینما عمر یخطب إذ قال «یا ساریةُ الجبل» وکان عمر قد بعث ساریة بن زُنیم الدُئلی إلی فسا ودارابجرد فحاصرهم، ثم أنهم تداعوا وجاؤوه من کل ناحیة والتقوا بمکان، وکان إلی جهة المسلمین جبل لو استندوا إلیه لم یؤتوا إلا من وجهٍ واحد، فلجؤوا إلی الجبل، ثم قاتلوهم فهزموهم، فأصاب ساریةُ الغنائم فکان منها سفط جوهر فبعث به إلی

1- روض الریاحین للیافعی عنه الغدیر 7: 239.

عمر فردّه وأمره أن يقسّمه بين المسلمين، وسأل النجاب أهل المدينة عن الفتح وهل سمعوا شيئاً فقال: نعم «يا ساريةُ الجبل الجبل» وقد كدنا نهلك فلجأنا إلى الجبل فكان النصر، ويروى أن عمر سُئل فيما بعد عن كلامه «يا سارية الجبل» فلم يذكره(1).

قال فى معجم البلدان: فسا.. مدينة بفارس أنزه مدينة بها فيما بينها وبين شيراز أربع مراحل. وأما كورة دارابجرد فإنّ أكبر مدنها فسا وهى مدينة مفترشة البناء واسعة الشوارع تقارب فى الكبر شيراز وهى أصح هواءً من شيراز(2).

والحديث مرسل لم يثبت وليس للذهبى طريق لرواته فهو يرويه هكذا مرسلاً دون أن يسنده إلى أحد، كما أنه لم يثبت أن لعمر رأياً فى الحرب وكيف مُدَّ فى بصره من المدينة إلى فارس، ونُقل صوته كذلك حتى سمعه الجيش، وكم غزوات النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى عدّها المؤرخون انّها ثمانون غزوة لم يذكر التاريخ انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم ناداهم من المدينة وأرشدهم إلى حيث تحقيق النصر، وكان لمثل النبى فى هذه التصرفات مصلحة أهمّ مما هى عليه فى عهد عمر، إذ المسلمون بحاجة إلى تسديد سيما وهم فى غمرات التكذيب من المشركين، وانّ الدعوة الإسلامية لازالت غضّة طرية تحتاج التأييد بمثل هذه القابليات الإعجازية والتى يعيش المسلمون ـــ بل ويترقبون من الإعجاز النبوى ما من شأنه أن يعزّز مكانتهم ودعوتهم للدين الجديد. وواضح أنّ هؤلاء أرادوا أن يثبتوا هذه التصرفات ليثبت فيها حجية عمر فى تنازعه وتخاصمه فى الخلافة.

1- سير أعلام النبلاء للذهبى 1: 368 وراجع الطبرى فى تاريخه 3: 254.

2- معجم البلدان لياقوت الحموى 3: 434.

ولم يكتفِ هؤلاء حتى رووا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«قد كان فيكم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمر»(1) حيث أثبتوا التحديث لعمر ونفوه عن غيره، ولا أدرى انّ الملك الذى يُحدّثَ عمر حينما تُحصر عليه المسائل، أين عنه حينما كان يقول: لا أبقانى الله لمعضلة ليس فيها أبو الحسن، حتى ورد ذلك فى أكثر من ثلاثين مورد.

وقد أورد ذلك الخوارزمى الموفق بن أحمد المكى الشافعى فى مناقبه(2) فليراجع، إلى غير ذلك ممن روى ذلك متواتراً. ولم يكتفِ ابن العماد الحنبلى أن يدعى أكثر من ذلك فقال: وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: ما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر، ثبت هذا عنه من رواية الشعبى وأضاف ابن العّماد الحنبلى، وقال ابن عمر وما كان عمر يقول لشىء إنى لأراه كذا إلا كان كما يقول.

وعن قيس بن طلق كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسان ملك وكان عمر يقول: اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فانه تنجلى لهم أمور صادقة قال ابن العماد الحنبلى تعليقاً على ذلك: وهذه الأمور التى أخبر أنها تنجلى للمطيعين هى الأمور التى يكشفها الله لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ولاشك أن أفضل هؤلاء فى هذه الأمة بعد أبى بكر عمر (3).

1- شذرات الذهب 1: 33.

2- المناقب: 98.

3- شذرات الذهب 1: 33.

فـالحنبلی ابن العمّاد لا یعترض علی وجود هـذه الإمکانیـة لـدی الأولیاء وأن الله تعالی یکشف لهم عن الغیب ما یشاء، إلا أنه جعل ذلک خاصاً لأبی بکر ومن بعده لعمر، وهذه النزعة تکاد لا تفارق المنظّرین لمدرسة السـلطة والحاکم الذی فرض علیهم ظرفها الطارئ للخروج بأدنی دعاوی تثبت أحقیـة خلافة السـقیفة، منافسةً للمدرسة العلویة التی جعلت إمکانیة التصـرف التکوینی وقابلیات الإمام من مسـلّمات الفریقین.

ولعل ما یـذکره السـکتواری فی محاضـرة الأوائل یکشف النقاب عن هـذا التوجه السیاسـی فی صـناعة أصـحاب القرار وزجهم فی القضایا العقائدیة التی تمسّ المفاهیم الإسلامیة فی الصمیم.

فقد ذکر:

أول زلزلة فی الإسـلام سنة عشرین من الهجرة فی خلافة عمر رضی الله عنه فضرب أمیرالمؤمنین رضی الله عنه برمحه قائلاً یا أرض أسکنی ألم أعدل علیکِ؟ فسـکتت، فکان من جملة کرامته، فظهرت له کرامات أربعة فی العناصـر الأربعة: تصرّف فی عنصر التراب والماء فی قصة رسالته إلی نیل مصر، وفی الهواء فی قصة سارية الجبل، وفی النار فی قصة احتراق قریة رجل حین کلّفه أن یغیر اسمه فأبی وکان اسمه یتعلق بالنار کالشهاب والقبس والثاقب کما ذکر فی تبصرة الأدلة ودلائل النبوة.

وردّ العلامة الأمینی(1) هذه المرویات بأسانیدها الواهیة ودلالتها الموضوعة، وله فی ذلک بحثٌ قیّم استوفی به جوانبه.

1- الغدیر 8: 82.

ثالثاً: ما روى فى أسيد بن حضير

روى ابن الأثير عن انس: أن أسـيد بن حضـير وعباد بن بشر كانا عند النبيصلى الله عليه وآله وسلم فى ليلة مظلمة فخرجا من عنده فأضاءت عصا أحدهما فكانا يمشيان بضوئها، فلما افترقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا(1).

ولا يخفى موقف أسـيد بن حضـير فى السـقيفة حيث أودت به قبليته أن يقدم أبو بكر التيمى على منافسه سعد بن عبادة الخزرجى كراهية أن يتصـدّى سـعد للخلافة فنافسه موتوراً وأبعده موفوراً ببغضه وحقده على سـعد، من هنا نجد أن مدارس الخلافة حاولت أن تصّف أسـيد من أهل الكرامات والمقامات الإلهية تأكيداً لصحة موقفه المعارض لتوجهات العلويين.

لا نريد المزيد من هذه المحاولات فقد عرفنا أن إفرازات العهد الأموى أنتج وضعاً ثقافياً وتركةً فكرية أطاحت بالمتبنيات العقائدية فضلاً عن الأخلاقية، وإلا فمن غير الممكن قبول مرويات تتعارض مع مبادئ ومفاهيم لا يمكن إغفالها.

انّ مـا أثبته محققو أهـل السـنة وغيرهم من أن النفوس ترقى بعصـمتها عن ارتكـاب الخطـأ إلى معـارج الكمال، ليُفاض عليها من الحق ما يمكنها أن تتصـرف بالأمور التكوينية، حتى تكون نفوسها هى نفوس التكوينات ذاتها فتتصرف بها بما تشاء، ولم يثبت أن هؤلاء الأشخاص قد نالوا هذه المقامات بمجاهداتهم الخاصة ولم يعرف لهم قدماً فى هذا الشأن، إلا أن التطلعات السياسـية حاولت أن تخلق ما من شأنه أن يكون منافساً للبيت العلوى المعارض.

1- أسد الغابة 3: 149.

أحاديث المنحى الثانى

اشارة

ويتجه المنحى الثانى إلى تأصيل فكرٍ عقائدى يقاوم الفكر الآخر ليثبت إمكانيته فى تأسيس مدارس فقهية مناهضة للمدرسة الفقهية التى تزعمها أهل البيت، ولما كان من مقام أهل البيت التصرف فى التكوينيات، فإنّ لهؤلاء القدرة كذلك، لضمانة قبول أطروحتهم الفقهية الجديدة وفرض آرائهم العقائدية على غيرهم، لذا فقد سعت هذه المدارس إلى محاولات استقطاب البسطاء لتصديق الأطروحات الجديدة، ولغرض الوقوف على ذلك نستعرض بعض النماذج:

أولاً: ما ورد فى أبى زرعة المصرى

روى الذهبى عن خالد بن الفزر قال: كان حياة بن شريح ـــ أبو زرعة المصرى ـــ شيخ الديار المصرية من البكائين وكان ضيق الحال جداً، فجلست وهو متخلٍ يدعو فقلت: لو دعوت أن يوسّع الله عليک فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فأخذ حصاة فرمى إلىَّ بها فإذا هى تبرةُ ما رأيت أحسن منها وقال: ما خير فى الدنيا إلا للآخرة، ثم قال: هو أعلم بما يصلح عباده فقلت وما أصنع بهذا؟ قال: استنفقها، فهبته والله أن أرده(1).

ثانياً: ما روى فى أحمد بن حنبل

فى مختصر طبقات الحنابلة قال أبو طالب على بن أحمد: دخلت يوماً على أبى عبدالله وهو يملى وأنا أكتب فاندق قلمى، فأخذ قلماً فأعطانيه فجئت بالقلم إلى أبى على الجعفرى فقلت هذا قلم أبى عبدالله أعطانيه فقال لغلامه: خذ القلم فضعه فى النخلة عسى تحمل، فوضعه فيها فحملت(2).

1- تذكرة الحفاظ للذهبى 1: 174. عنه الغدير 11: 134.

2- مختصر طبقات الحنابلة: 11 عنه الغدير 11: 137.

ثالثاً: ما روى فى مالک بن أنس

وما روى فى إمام المذهب المالکى، أن المثنى بن سعيد القصير قال: سمعت يقول: ما بتُ ليلة إلا ورأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيها(1).

هذه خلاصة ما يمكن أن نقف عليه فى هذه الإشارات التى تحاول أن تجعل الولاية التكوينية فى حق مَنْ يرتئونَ أهليته فى أمر من الأمور.

ولا أدرى: فلعل الكثير منهم لو بعثوا وسئلوا عن حقيقة الأمر لنفوا وقوعه وفى نفس الوقت لا يقبلون المغالاة فى تعظيم إمكانياتهم بقدر ما يعرف كل امرئٍ قدر نفسه.

نعم انّ ما ينفع فى المقام هو إمكانية الوقوع فى مثل هذه الولاية على التكوينيات لكن على أساس توفر شرائط القضية وتحقق مقتضياتها، كما أن ذلک يمنع ما يثيره البعض على الإمامية من القول بأئمتها وأنه على سبيل الغلو، وتجاوز الحد، فى حين أن الإمامية تُسلّم ما ورد فى القرآن الكريم بخصوص الأنبياء وغيرهم من إمكانية تحقق الولاية التكوينية، وما ورد عن الأئمة بالطرق الصحيحة بعيداً عن التسابق مع الآخر لإثبات وجود ما.

والجدير ذكره:

انّ كثيراً من علماء أهل السنة وافقوا الإمامية فى إمكان وقوع مثل هذه الولاية التكوينية وتحققها فى الخارج للأنبياء وللأئمة وللصالحين بشرط ثبوت صحة روايتها ومروياتهم، ويبقى الأمر لا يتعدّى عن قدرة الله تعالى فى إفاضة هذه القدرات على عباده المنتجبين.

1- الروض الفائق: 270 عنه الغدير 11: 142.

الإمامی_ة وأدل_ة أخ_رى..

اشارة

ولعل من المفيـد جداً أن نقف على بعض ما حاوله الإمامية من إثبات الولاية التكوينية لأئمتهم من القرآن الكريم ـــ وقد مرّ بعضـها سابقاً ـ، فقـد تحـدث القرآن الكريم عن إمكان وقوع فعل هـذه الولايـة لتسـحب فيها بعـد إلى أئمة آل البيت فی بحث يأتی لا حقاً، والمهم هنا فهرست هذه الآيات التی تحدثت عن الولاية منها:

أولاً

قوله تعالى:

((أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّينِ کَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَکُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِی الْمَوْتَی بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُکُمْ بِمَا تَأْکُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِی بُيُوتِکُمْ إِنَّ فِی ذَلِکَ لَآيَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))(1).

وولاية عيسى عليه السلام فی هذه الآية كانت فی:

1 ـــ إمكانية خلق الطير من الطين والنفخ فيه ليكون طيراً بإذن الله.

1- آل عمران: 49.

2 ـــ إبراء الأكمه هو الذى يولد أعمى والأبرص ـــ وهو مرض جلدى معروف.

3 ـــ إمكانية إحياء الموتى بإذن الله تعالى.

4 ـــ أنباء عن الغيب والأخبار عما فى ضمائر الناس.

ثانياً

قوله تعالى:

((وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ))(1).

وقوله تعالى:

((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ((17)إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ)) ((2).

وقال تعالى:

((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ))(3).

وولاية داود لما فى الآيات الكريمة:

1 ـــ تسخير الجبال لداود وتسبيحها معه.

2 ـــ وتستخير الطير معه لتسبح بتسبيحه.

3 ـــ إلانة الحديد وإمكانية تصنيع ما يريد تصنيعه...

1- الأنبياء: 79.

2- (2)ص: 17و18.

3- سبأ: 10.

ثالثاً

قوله تعالى:

((فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِی بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ))(1).

وولاية نبی سليمان كما فی الآية:

1 ـــ على الريح حيث يذهب بها أينما يريد، إذ كان يغدو بها من أيله، ويقبل بقزوين، ويبيت بكابل... كما ورد.

2 ـــ تسخير الجن له فبعض يغوص ليستخرج ثروات البحار، وبعضهم يبنون له البناء الذی عجز عنه غيره.

رابعاً

وولاية وصی سليمان كما فی قوله تعالى:

((قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِی بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِی مُسْلِمِينَ(38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّی عَلَيْهِ لَقَوِیٌّ أَمِينٌ))(2).

وولاية آصف بن برخيا ـــ كما ورد ـــ إمكانية نقل عرش بلقيس بأقل من ثانية لما يملك من الاسم الأعظم الذی به يدعو الله تعالى فيمكّنه من التصرف الذی يعجز عنه غيره. هذه بعض الآيات القرآنية التی قدّمتها الإمامية حجّة لمدّعاها فی أئمتها وإمكانية الولاية التكوينية لديهم كما يحدث للأنبياء ولغيرهم.

1- (1)ص: 36 ـــ 37.

2- النمل:38و 39.

الضرورة والمقتضى

اشارة

إنّ الناس لا تُصغى إلى الدعوات التى يطلقها أفرادٌ عاديون ما لم يثبتوا قربهم عند الله تعالى وتميزهم على غيرهم، وإلا فالانصياع من قبل الأمة لا يكون عفوياً ما لم يصاحبه أمرٌ خارقٌ يعجز الآخرون عن الإتيان به

((إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ))(1).

فالحاجة إلى الآية فى إخضاع المعاندين هو من شأن الله تعالى، فهو سبحانه يخاطب النبيصلى الله عليه وآله وسلم أنک لا تهلک نفسک عليهم لعدم إيمانهم فإننا ان نشأ أن نخضعهم للتصديق بک أن ننزل آيةً من خلالک لنعرفهم مقامک وصدقک فى دعواک لقوله تعالى:

((لَعَلَّکَ بَاخِعٌ نَفْسَکَ أَلَّا يَکُونُوا مُؤْمِنِينَ))(2).

فالبخوع هو إهلاک النفس عن وجدٍ وتحرّق وفى قوله تعالى إظهارٌ لعطفه وشفقته على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا تهلک نفسک على عدم إيمانهم فإننا إذا أردنا إنزال آية تذلهم وتخضعهم إلى الحق لفعلنا حتى يتبين لهم آية الصدق والبلاغ الذى

1- الشعراء: 4.

2- الشعراء: 3.

أرسلناک به، وکأن الآیتین تشیران إلی أن من مستلزمات التبلیغ هو إخضاع المعاندین إلی مقام النبی والإمام لیتسنی لهما القیام بواجبهما، وهذا یتم بإیجاد آیة لهم عن طریق أحدهما والإنزال دلالة علی أن التصرف یکون بإذنه تعالی من قبل المعصوم، أو أن الإنزال یعنی أن الآیة تنزل من السماء فعلاً لتریهم قدرته تعالی.

إذن فالتصرف بالأمور التکوینیة هی جزء من مهمّة النبی أو الإمام التبلیغیة، والحوادث التاریخیة تشهد بأن النبی صلی الله علیه وآله وسلم مارس ولایته التکوینیة حینما طلب منه المشرکون ذلک وفی إلمامةٍ سریعةٍ تظهر لنا إمکانیة النبی والإمام لیثبت لهم صدق دعواه وبیان مقامه من الله تعالی.

ما ورد فی الخطبة القاصعة

اشارة

إننا لانرید تکثیر الشواهد فی هذا الشأن وسنکتفی بشهادة الإمام علیعلیه السلام وهو یروی لنا خبر الشجرة التی استجابت لندائه صلی الله علیه وآله وسلم قال: أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: أیتها الشجرة ان کنت تؤمنین بالله والیوم الآخر وتعلمین إنی رسول الله فانقلعی بعروقک حتی تقضی بین یدی بإذن الله، فو الذی بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوی شدید وقصف کقصف أجنحة الطیر، حتی وقفت بین یدی رسول الله مرفرفة وألقت بغصنها الأعلی علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وببعض أغصانها علی منکبی وکنت عن یمینه، فلما نظر القوم إلی ذلک قالوا علواً واستکباراً فمرها فلیأتیک نصفها فأمرها بذلک فأقبل إلیه نصفها بأعجب إقبال وأشده دویاً فکانت تلتف برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقالوا کفراً و عتوا: فمر هذا النصف فلیرجع إلی نصفه فأمره صلی الله علیه وآله وسلم فرجع فقال القوم: ساحر کذاب عجیب السحر خفیف فیه(1).

1- مناقب ابن شهرآشوب 1: 171.

محاولةٌ أُخرى

ويبـدو أن الأمر تكررت مشاهـده حيث كان أبو طالب أحد الطالبين لهذه الآية تأكيداً لصـحة هذه الواقعة وحرصاً على تكررها أمام من لم يحضر فى مشاهدة هذا الإعجاز فكان أبو طالب مهتماً فى إظهار هذه الإمكانية فى التصرف الكونى من قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم لتكون حجة على قريش.

عن ابن عباس عن أميه قال أبو طالب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: يا بن أخ آلله أرسلک؟.

قال: نعم.

قال: فأرنى آيةً، أدعُ لى تلک الشجرة، فدعاها حتى سجدت بين يديه ثم انصرفت.

فقال أبو طالب: أشهد أنک صادقٌ رسولٌ، يا على صِلْ جناح ابن عمک(1).

ولأبى طالب فى ذلک التفاتـة ذكية، فبعد أن طلب من ابن أخيه هذه الآية أمر ولده على أن يلتحق به ليؤكد أن إيمانه بابن أخيه لم يكن موقوفاً على أساس النسب والقرابة بل هو أمرٌ يخضع تحت طائلة البرهان والدليل وقد أثبت أبو طالب من خلال ذلک قضيتين مهمتين:

الأُولى: أن التزامه لابن أخيه «محمد» لم يكن بدافع الرغبة النسبية أو العصبية القبلية فى الإيمان والالتزام الفكرى بل أن دافع أبى طالب كان مدروساً خاضعاً للدليل وأن قراره غير مرتجل وإيمانه بابن أخيه عقلانياً منطقياً.

1- نفس المصدر.

الثانی: أن أبا طالب فی طلبه من النبی صـلی الله علیه وآله وسلم أراد أن یشیر إلی أن الإیمان بأیّة دعوی لابد أن تعززها الأدلة والبراهین وأن الـذین تعوزهم هذه الإمکانیة الاعجازیة غیر جدیرین فی الإتباع، وأن الذین یمتلکون قسـطاً من هذا التصـرف الکونی لابد أن یکونوا قریبین فی مقاماتهم الغیبیة إلی الله تعالی فهم أولی بالاتباع والتصدیق والإذعان.

وعن الإمام الصادق علیه السلام:

یا أبان کیف ینکر الناس قول أمیر المؤمنین علیه السـلام لما قال: لو شئت لرفعتُ رجلی هذه فضربت بها صدر ابن أبی سفیان بالشام فنکسته عن سـریره، ولا ینکرون تناول آصف وصـی سـلیمان عرش بلقیس وإتیانه سـلیمان به قبل أن یرتدّ إلیه طرفه، ألیس نبینا صـلی الله علیه وآله وسلم أفضل الأنبیاء، ووصیه أفضل الأوصیاء: أفلا جعلوه کوصی سلیمان، حکم الله بیننا وبین من جحد حقنا وأنکر فضلنا(1).

فالإمام هنا یقرر إمکانیة المعصوم من فعل ما یراه مصـلحة فی ممارسة صـلاحیاته وقدراته التی بها یستطیع أن یمارس عمله کقائدٍ فی حربه وفی سـلمه، وفی مقارنته مع صـلاحیات سـلیمان الذی أعطاه الله من القدرات فی التصرف الکونی ومع ما یملک النبی صلی الله علیه وآله وسـلم وأوصـیاؤه، یجـد الإمام علیه السـلام فارقاً واضـحاً، فإذا کان سـلیمان یملک ما آتاه الله تعالی من أجل قیادة أمته، فإنّ النبی أشـرف الأنبیاء، ووصیه أشرف الأوصیاء، فلابد أن تکون قدراتهما تفوق ما ذکره القرآن من قدرات الأنبیاء، وهی مقارنة منطقیة رائعة.

1- بحار الأنوار 27: 28.

وفی إشارات الأئمّة علیهم السلام «أن حاجة سلیمان إلیهم لو أدرکهم» تقتضی أشرفیة المقام فهم یملکون أضعاف ما یملکه سلیمان من العمل والتصرف الکونی بدلیل «کان سلیمان عنده اسم الله الأکبر الذی إذا سأله به أعطی وإذا دعا به أجاب، ولو کان الیوم لاحتاج إلینا» وقول الإمام الصادق علیه السلام هذا ینطوی علی أن الاسم الأعظم وحده یملک سلیمان من خلاله القدرات الفائقة التی تحدّث عنها القرآن، فکیف بمن یکون الاسم الأعظم جزء إمکانیاته؟.

والأخری من إمکانیاته تتکفلها آلیات لم یملکها سلیمان ولم یسع أن یملکها کذلک.

وفی قول الإمام زین العابدین علیه السلام حین سأله السائل: الأئمّة یحیون الموتی ویبرؤون الأکمه والأبرص ویمشون علی الماء؟.

قال:

ما أعطی الله نبیاً شیئاً قط إلا وقد أعطاه محمداً صلی الله علیه وآله وسلم إلی آخر الحدیث، وهو أمرٌ طبیعی إذا الأنبیاء المکلفون بقیاداتٍ جزئیة لم ترقَ إلی قیادة النبیصلی الله علیه وآله وسلم ومهمته الشاقة التی علی ضوئها أسس لأمةٍ هی آخر الأمم، ولرسالةٍ هی آخر الرسالات، فهی لابدّ أن ترقی إمکانیاته إلی کل ما لا یصل إلیه الأنبیاء الباقون، فهم مکلفون بمهامٍ مکملة لمهام النبی وجزء مهمته العالمیة الخاتمة، فلابد أن یمتلک ما لا یمتلکه غیره.

إنّ المقارنات التی استخدمها أهل البیت علیهم السلام بین الأنبیاء وأوصیائهم وبین النبی وأوصیائه کانت منطقیة متکاملة یتقبلها العقل ویرقی إلیها الوجدان.

ونهاية المطاف..

هذا ما يمكن أن نقف عليه فى هذا المختصـر من ذكر الولاية التكوينية، ولازلنا بحاجة إلى تحقيق كثير من هذه المجالات إلا أننا اسـتطعنا أن نقف عنـد المقاربات بين الشـيعة وبين أهل السـنة وعرفنا كيف أن مفهوم الولايـة لدى الفريقين يجعل الفجوة بينهماضـيقة إذا ما قلنا أنها منعدمة، ولعلنا بلغنا شوطاً مهماً فى إمكانية إيقاف دعاوى الغلو التى كان يرُمى بها الإمامية دون التثبّت من الأمر.

إنّ حاجة البحث تتعلّق باستكماله لشطره الآخر وهو ثبوت الولاية التشريعية وإمكان وقوعها، وسعة وضيق دائرتها.

والبحوث القادمة تكفل ذلک بإذنه تعالى.

الولاية التشريعية

اشارة

إنّ ثبوت الولايـة التكوينيـة كان على أساس حاجـة النبى أو الولى إلى هذه الإمكانية التى تدخل فى تعزيز مهمته التبليغية، إذ الناس ميالون إلى اختراق معـارف حجب الغيب والوقوف على كنه الأشـياء، وإذا كان الآخرون عاجزين عن نيل هـذا القرب المقامى وإمكانيـة حـدوث المعجزات والكرامـات وممارسـة الولايـة التكوينيـة بـدائرتها الواسـعة التى أمكن الله الولى من ممارسـتها، أى إذا كانت ولايـة الولى على التكوينيات نافذة، فعلى التشريعات أولى، ووجه الأولوية أن منح القدرة على التصرف الكونى أكثر كلفة ومشقةً ليحوزها الولى حتى يدخل ذلک فى باب التبليغ وتأثيره بالناس، فان إمكانيـة القـدرة على معرفة المصـلحة فى تنزيل الأحكام وجعلها على أساس ممارسة الواقع، أقل مؤنة من التصرف الكونى، بل أكثر قبولاً لدى الأمة فى أهلية ذلک الولى الذى أتيح له التصرف فى التكوينات للتصرف بالتشريعات.

أى انّ الـذى يسـتطيع أن يمارس عمله التبليغى فى تعاطيه بالتصـرف التكوينى، مؤهّل أيضاً للتصـرف فى التشـريع على أساس المصـلحة المنكشـفة له، بل أن الناس ـــ وبحسب العادة ـــ ينظرون إلى أن التصرف فى التشريع أقل مؤنة من التصرف فى التكوين الذى يحتاج معه إلى مقام يؤهله للوصول إلى اللطف الإلهى الذى يغدقهُ الله على أوليائه المقربين.

الدليل على الولاية التشريعية عند الإمامية

اشارة

إنّ الإماميـة أكـدت فی جملة تنظيراتها للولاية التشـريعية على أمر مهم ذكرته كدليل واقعی فی ثبوت مسألة الولاية التشـريعية، وذلک كون النبی والإمـام معصومين لا يأتيهما الباطل بين يـديهما وهما عـدل القرآن الكريم ولما كان القرآن معصوماً فان العترة كـذلک، شـهادة من النبی لها بقوله حينما سأل صلى الله عليه وآله وسلم ما الثقلان يا رسول الله؟.

قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزوجل وطرفٌ بأيديكم فتمسـكوا به لا تضـلّوا، والآخر الأصـغر عترتی، وان اللطيف الخبير نبّأنی أنهما لن يفترقا حتی يردا علیَّ الحوض فسألت ذلک لهما ربی، فلا تقدموهما فتهلكوا: ولا تقصروا عنهما فتهلكوا(1).

فالإشارة النبويـة إلى عدم افتراق القرآن عن العترة دليل على ملازمة أحدهما للآخر، وأی خلل يصـيب أحدهما فقد أصاب الآخر، وبما أن القرآن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه.

((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ))(2).

فانها شـهادة الله للعترة كذلک بشـهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولما كان القرآن معصوماً فالعترة مثله، هكذا كان النبی صلى الله عليه وآله وسـلم يشـهد لعترته، فهی كالقرآن لا تتخلف عنه ومن كان هـذا حاله فلابـد أن يكون مأمون الجانب غير مشـكوک فيه، ولما كان القرآن مصدراً لأحكام الله تعالى فالعترة كذلک بولايتها التشريعية لأحكام الله تعالى.

1- الغدير 1: 11.

2- فصلت: 41.

وبهـذا فإنّ الإماميـة احتجّت بهـذا الحـديث الـذى رواه أكثر من مائـة صـحابى، ومثله تابعى حتى صار فى عداد المتواترات التى لا يمكن التوقف فيها. وإذا طُولب الإماميـة الـدليل من القرآن الكريم فى إثبات الولايـة التشـريعية وإمكانية التفويض ووقوعه من قبل حتى صار أمراً مفروغـاً منه، فـإنّهم يحتجّون بالأنبياء الـذين نالوا حظوة التشـرف والمقام العظيم بمنحهم مرتبـة التفويض، إذ تحـدّث عنهم القرآن الكريم ليقرّب إلى لأذهان ما يمكن أن يحظى به النبى من القرب إلى الله تعالى لتـدبير أمور الرسالـة والتى سـعى الأنبياء جميعاً إلى تحقيق الهدف والغاية من بعثتهم، إلا أنّ الرسالة الخاتمة احتلّت اهتماماً واسـعاً لديهم فراحوا يصـرّحون بالتنويه عنها والتمهيد إليها، فالآيات التالية تظهر إمكانيـة التفويض للأنبيـاء وذلک من خلال مهام الإمامـة والخلافـة التى يتولاها هؤلاء الأنبياء الـذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه. ففى قوله تعالى:

((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّی جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِی قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِی الظَّالِمِينَ))(1).

فالإمامة التى جعلها الله لإبراهيم تقتضـى صـلاحيته التشريعية وتفويضه لأمور أمته، وقوله تعالى «إنى جاعلک» تستلزم أن تتوفر مقتضيات الإمامـة فى إبراهيم وجعلها له وفيه، وأبرزها التفويض التشـريعى الـذى لابـد أن يمتاز به الإمام فى قيادة أمته، وإلا فلا معنى لإمامة إبراهيم دون بسط يده التشريعية وتفويضه فى الأحكام. قوله تعالى:

((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاکَ خَلِيفَةً فِی الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ))((2).

1- البقرة: 124.

2- (1)ص: 26.

فالجعل المولوی لداود من قبل الله تعالی یقتضی أن تکون الطاعة لداود من قبل أتباعه وهذه الطاعة لا تتم إلا بما تتم به ولایته التشریعیة، فخلافة داود لا تکون حقیقیة إلا بما آتاه الله تعالی من الولایة والتفویض لتکون لداود الطاعة المولویة من قبل أتباعه والتسلیم له فی کل ما یحکم به. قوله تعالی:

((النَّبِیُّ أَوْلَیٰ بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَیٰ بِبَعْضٍ فِی کِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ وَالْمُهَاجِرِینَ))(1).

وفی الآیة تأکید علی ولایة النبی صلی الله علیه وآله وسلم وتدبیر أمور أمته.

قال الطوسی فی مجمع البیان: أخبر الله أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم ((أَوْلَیٰ بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ))، بمعنی أحق بتدبیرهم، وبأن یختاروا ما دعاهم إلیه وأحق بأن یحکم فیهم بما لا یحکم به الواحد فی نفسه، لوجوب طاعته النبی هی مقرونة بطاعة الله، وهو أولی فی ذلک وأحق من نفس الإنسان، لأنها ربما دعته إلی إتباع الهوی، ولأن النبی صلی الله علیه وآله وسلم لا یدعو إلا إلی طاعة الله وطاعة الله أولی أن تختار علی طاعة غیره(2).

فمقتضیات طاعة الأمة للنبی لا تتم إلا بتمام ولایته وتفویضه من قبل الله تعالی. قوله تعالی:

((یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ))(3).

فطاعة الله من طاعة الرسول وهی اتباع أوامره ولا تکون أوامره إلا بالتسلیم له من خلال ما یحکم به بین أمته، وخطابه تعالی للمؤمنین مشعرٌ بأن إیمان العبد

1- الأحزاب: 6.

2- التبیان فی تفسیر القرآن 8: 317.

3- النساء: 59.

موكولٌ بمدى طاعته للنبى صـلى الله عليه وآله وسلم ولا تتم الطاعة إلا بتحقق موضوعها، وهو الحكم الصادر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لولايته على أمته بتشريع الأحكام والتفويض إليه.

الجعل التشريعى وحق التشريع

إذ أننا نجد مفردة «جعل» فى هذه الآية والآيات التى تتحدّث عن داود وغيرها ممن تشـير إلى الخلافة والإمامة الإلهية، حيث نجد أن هناك عنايـة خاصـة، ورعايـة فائقـة فى الجعل الإلهى لهـذا الخليفة الإلهى، فالجعل جعلان، جعل تكوينى، وهى العناية فى تكوين هذا الخليفة وصـياغته المتكاملـة ووصوله إلى مصـافى العصـمة والاصـطفاء، والاهتمـام الإلهى فى تكامل هـذا الخليفـة رعايـةً لجانب القيادة والإمام ومسؤوليـة تربيـة الأمة ومهمته الخطيرة التى يضـطلع بها الخليفة الإلهى، مما يقتضـى أن تكون العناية الإلهية فى تكامله بشـكلٍ يتميّز عن الآخرين فى خصائصه ومواصفاته، وهذا هو الجعل التكوينى الذى يحرزه الخليفة من قبل الله تعالى، إنجاحاً لمهمته وتسديداً لمسؤولياته. هذا هو الجعل التكوينى..

أمّا الجعل التشريعى؛ فاهتمام العناية الفائقة فى تدبير مهمة الخليفة من خلال ما يفرضه الأمر المولوى منه سبحانه على المكلفين فى طاعته واتباعه كما فى قوله تعالى:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ))(1).

فالإرادة التكليفية فى إطاعة الخليفة لازمة ومفروضة على المكلفين، وبخلافه فإنّ المكلّف متمرّدٌ عاصٍ على الأمر التشـريعى الذى لابدّ من اتباعه، وهذا هو الجعل التشريعى، فالجعل الإلهى للخليفة ذو شقين، أحدهما تكوينى وهى

1- النساء: 59.

الخصـائص المتوفرة فى الخليفـة عنـد اصـطفائه بـل وخلقه وتكوينه، وجعل تشـريعى مراعى فيه جانب التكليف المفروض على المكلفين جميعاً، والذى من خلاله يحقّ للخليف_ـة أن يتمتع بكاف_ـة إمكانيات الطاعة ولوازمه_ـا من قبل المكلفين.

إذا عرفنا ذلک فإنّ العناية الإلهية فى إعطاء صـلاحيات القيادة وإمامة المجتمع تقتضـى أن يكون للخليفة حق التشريع الذى هو فرع الجعل التشريعى والذى هو من متممات شخصية الخليفة والنبى القيادية، وأىّ خلل فى جانب العناية التشريعية ـــ ومنها الحق التشريعى للنبى أو الإمام ـــ يعدّ خللاً فى إمكانية ممارساته القيادية، فلابدّ من القول بالتفويض التشريعى الذى نسعى فى هذا البحث إلى إثباته.

إذن أين الخلاف؟ فإذا صار ذلک جلياً، فأين الخلاف بعد ذلک؟.

إنّ محل النزاع ليس فى إمكانية وقوع مثل هذه الولاية التشـريعية، وإنما النزاع فى كيفية إيجاد هذه الولاية عند النبى أو الإمام، وبمعنى آخر: يمكن أن نقف على محل النزاع عند تحرير هذه المسائل الثلاثة:

أولاً: هل للنبى إمكانية التشريع المطلق؟.

ثانياً: هل التشريع يتضمن نوعاً خاصاً من الأحكام يتحرک من خلال دائرتها التشريعية النبى أو الأمام؟.

ثالثاً: هل الأحكام كلها مشرّعة فى علم الله تعالى إلا أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بمهمة تنزيلها فى أوقاتها المخصوصة؟.

وللإجابة على ذلک لابد أن نقف على معنى التفويض، فهل كل ذلک من باب التفويض أم ماذا؟.

التفويض... الشبهة والمفهوم

اشارة

إنّ ما يدعو إلى التأمل فى قضية التفويض هى شبهة البعض فى معنى التفويض ومفهومه؟.

فقد فهم بعضهم أنّ التفويض يعنى أن لا قدرة لله على أمر الخلق بل فوّض ذلک إلى النبى أو الأمام، أى أن الله صار بمعزلٍ عن أمر خلقه... تعالى الله عن ذلک علواً كبيراً.

هذه الشبهة دفعت بالبعض إلى النفور عن مسألة التفويض واتهام القائلين به بالغلو. ولكى نقلل هوة التباعد فى المفهوم بين القائلين بالتفويض وبين الرافضين له نتساءل على ضوء المعطيات التالية:

أولاً: وحدانية الله تعالى

هل يعنى التفويض أن الله تعالى قد فرغ من الأمر بعد خلقه الخلق، وهل أن مقالة التفويض تضرّ فى وحدانيته، أى تزاحم سلطنته وهيمنته على الأمور؟.

أم أن التفويض هو نحو من أنحاء السلطنة التى يتصرف صاحبها كيف يشاء وأنّى يشاء، ومنها أن يجعل بعض مهام أمور خلقه إلى بعض خلقه فيفيض عليهم من عطائه لمصلحة عباده؟.

ثانياً: الغلو

إنّ الغلو هو تجاوز الحد الذى حدده القرآن والروايات فى مقامات الأولياء، وأن تجاوز هذا الحد يعنى أن يكون الولى فى مرتبة من مراتب الإلوهية التى هى الشرك بعينها.

إلا أن التفويض الذى يقول به الإمامية لا يعنى إلا أنه محض العبودية لله، لأن الذى يفوض إليه أمرٌ من الأمور، لا يكون إلا بعد أن محّضُ العبودية لله محضاً ثم يختاره الله تعالى، على أنه تكامل فى طاعته وتفانى فى عبادته، كما أن اصطفاء الأنبياء للنبوة لا يكون إلا بعد مرتبة العبودية كما فى قولك فى تشهد الصلاة:

«وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

مشعرٌ أن العبودية مرتبة متقدمة على الرسالة، إذ العبودية هى أكمل مراتب الطاعة، والرسول لا يكون إلا فى طاعة الله عبداً مرغباً لطاعته تعالى، منفّذاً لمحبته.

فالتفويض لا يعنى أكثر من كون المفوَّض إليه عبداً خالصاً لله، وكلّ ما فوض إليه فهو من فيض لطفه تعالى وكرمه على عباده المنتجبين.

فإذن ليس التفويض الاستقلال عن سلطنته تعالى، بل هو محض التسليم والطاعة والعبودية.

هذه هى شبهة الذين اتهموا الآخرين بالقول بالتفويض، وهى شبهة فى غير محلها لعدم الركون إلى المفهوم الصحيح للتفويض.

ثالثاً: المصلحة من التفويض

اشارة

إنّ ممارسة مهام النبی أو الإمام تتوقف علی مدی صلاحیاته فی شأن أمته، فالناس میالون لتصدیق من له القدرة والقابلیة علی التصرفات الکونیة أو الشرعیة، فیکون التفویض ذا أثرٍ نفسی علی توجهات الناس لقبولهم دعوة ذلک المبلغ الذی یستطیع أن یتصرف فی التکوینات والتشریعات، إذ ذلک کاشفٌ عن مرتبة القرب إلی الله تعالی، حین لا یُنال ذلک إلا لدرجةٍ رفیعة ومقامٍ محمود یحظی به العبد عند ربّه، وبخلافه فستکون عدم الصلاحیة فی التصرفات سبباً فی تنفیر الناس وانفضاضهم من حوله، فالتفویض سببٌ لاستقطاب الناس کون المبلّغ هو القدوة، والقدوة بحاجةٍ إلی تسدیدٍ ربانی لانثیال الناس علیه، فی حین خلو القدوة من میزات التصرف یجعل التأثیر قلیلاً أو معدوماً.

هذه أهم الإشکالات التی تدور فی خلد أولئک المتوجسین من مفهوم التفویض، ولعل الإجابات المقدمة ستکون وافیة للوقوف علی حقیقة الأمر.

ما هی دائرة التفویض التشریعی؟

إلا ـ أن الأـمر یبقی مبهماً فی دائرة صلاحیات المفوّض إلیه ومهام التفویض، خصوصاً فی التشریع، لأن التفویض التکوینی یتحرک علی أساس الحاجة والمصلحة التی یراها النبی فی إثبات دعواه وتقدیم المعجز، فی حین یتفاوت الأمر فی التفویض التشریعی بین السعة والضیق، وبین الصلاحیات المفتوحة المطلقة وبین المضیقة المقیدة، وعلی هذا الأساس فهل التفویض التشریعی سیکون فی:

أولاً: التفویض فی الأحکام الکلیة؟.

ثانياً: هل التشريع هو إمضاء من قبل الله تعالى لبعض الأحكام الجزئية التى شرّعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟.

ثالثاً: هل التفويض يعنى التفويض فى إدارة أمور الأمة ووصولها إلى مراتب الكمال؟.

رابعاً: هل التفويض يقتصر على الأمر المالى حيث يعطى النبى لمن يشاء ويمنع من يشاء على أساس المصلحة؟.

خامساً: هل التفويض يعنى بيان علل بعض الأحكام الخفية والوقوف على أسرارها تبعاً للمصلحة؟.

كل هذه الأسئلة تُطرح على أساس البحث الذى تتكفله الروايات الواردة فى معنى التفويض، ويمكننا أن نقتنص المعنى الذى تكفلت الروايات فى الإجابة عنه.

روايات التفويض

يمكن أن نقف على حدود الولاية التشريعية وبعض ماهياتها فيما إذا استعرضنا الروايات الواردة والتى تؤكد انّ دواعى التفويض هى لغرض التأكيد على طاعة الرسول فى ما يأتيه من أحكام يجب الأخذ بها إظهاراً لطاعة العباد له ومتابعته كذلك منها:

أولاً يعقوب بن يزيد بسنده إلى أبى جعفر عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمداً عبداً فأدّبه، حتى إذا بلغ أربعين سنة أوحى إليه، وفوّض إليه الأشياء فقال:

((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهَ إِنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))(1).

1- بصائر الدرجات للصفار القمى 2: 228 المكتبة الحيدرية 1426.

ثانياً عن زرارة أنه سمع أبا عبدالله وأبا جعفر عليهما السلام يقولان: أن الله فوّض إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثم تلا هذه الآية:

((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا))(1).

ثالثاً الحجال بسنده عن أبى عبدالله عليه السلام: قال: ان الله أدّب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على أدبه فلما انتهى به إلى ما أراد قال له:

((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)).

ففوض إليه دينه فقال:

((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

وان الله فرض فى القرآن ولم يقسّم للجد شيئا وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطعمه السدس فأجاز الله له، وان الله حرم الخمر بعينها وحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مسكر، فأجاز الله له ذلک وذلک قول الله:

((هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ))(2).

رابعاً محمد بن عيسى بسنده عن إسحاق بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان الله أدّب نبيه حتى إذا أقامه على ما أراد قال له:

1- نفس المصدر.

2- نفس المصدر.

((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)).

فلما فعل ذلک رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم زکّاه الله فقال:

((وَإِنَّکَ لَعَلَیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ)).

فلما زکّاهُ فوّض إلیه دینه فقال:

((وَمَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

فحرّم الله الخمر، وحرّم رسول الله کل مسکر، فأجازه الله ذلک کله، وان الله أنزل الصلاة وان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقّت أوقاتها ف_أج_از الله ذلک له(1).

خامساً وفی حدیث إسماعیل بن عبدالعزیز قال: قال لی جعفر بن محمدعلیه السلام: ان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کان مفوضاً إلیه، ان الله تبارک وتعالی فوّض إلی سلیمان علیه السلام ملکه فقال:

((هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِک بِغَیْرِ حِسَاب)).

وان الله فوّض إلی محمد صلی الله علیه وآله وسلم نبیه فقال:

((وَمَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

فقال رجل: إنما کان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم مفوّضاً إلیه فی الزرع والضرع.

قال: فلوّی جعفر علیه السلام عنه مغضباً.

فقال: فی کل شیء والله فی کل شیء.

1- نفس المصدر.

سادساً عن زرارة عن أبی جعفر أو أبی عبدالله علیه السلام قال: سمعته یقول: ان الله فوّض إلی نبیه أمر خلقه لینظر کیف طاعتهم، ثم تلا هذه الآیة:

((وَمَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

سابعاً أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبی نصر، عن حماد بن عثمان عن زرارة عن أبی جعفر علیه السلام قال: وضع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم دیة العین ودیة النفس ودیة الأنف وحرّم النبیذ وکل مسکر فقال له رجل: فوضع هذا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من غیر أن یکون جاء فیه شیء؟ قال: نعم لیعلم من یطع الرسول ممن یعصیه.

ثامناً وعن أبی حمزة الثمالی قال: قرأت هذه الآیة علی أبی جعفر علیه السلام: «لیس لک من الأمر شیء قول الله تعالی لنبیه، وأنا أرید أن أسأله عنها، فقال أبو جعفرعلیه السلام: بل وشیء وشیء ـــ مرتین ـــ وکیف لا یکون له من الأمر شیء فقد فوّض الله إلیه دینه فقال:

((وَمَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

فما أحل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فهو حلال، وما حرم فهو حرام.

تاسعاً عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قوله: إنّ الله فوّض الأمر إلی محمد صلی الله علیه وآله وسلم فقال:

((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

قال: إنّ الله خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم طاهراً ثم أدّبه حتى قوّمه على ما أراد، ثم فوّض إليه الأمر فقال:

((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

فحرّم الله الخمر بعينها وحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسكر من كل شراب، وفرض الله فرائض الصلب وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجد فأجاز الله له ذلک، وأشياء ذكرها من هذا الباب.

عاشراً عن عبدالله بن سنان عن أبی عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: صل على محمد صفيک وخليلک ونجيّک المدبّر لأمرک(1).

حادی عشر عن أديم بن الحر قال:

سأله موسى بن أشيم ـــ يعنى أبا عبدالله عليه السلام ـــ عن آية من كتاب الله فخبّره بها، فلم يبرح حتى دخل رجل فسأله عن تلک الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم: فدخلنى من ذلک ما شاء الله حتى كنت كأن قلبى يُشرّح بالسكاكين وقلتُ: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ فى الحرف الواحد الواو وشبهها وجئت إلى من يُخطئ هذا الخطأ كله، فبينما أنا كذلک إذ دخل عليه آخر، فسأله عن تلک الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرنى والذى سأله بعدى، فتجلى عنى

1- شرح أصول الكافى للمازندرانى 7 193.

وعلمت أن ذلک تعمّدٌ منه، فحدّثت نفسی بشیء فالتفت إلیّ أبو عبدالله علیه السلام فقال: یا ابن أشیم لا تفعل کذا وکذا فحدثنی عن الأمر الذی حدّثتُ به نفسی، ثم قال: یا ابن أشیم ان الله فوّض إلی سلیمان بن داود علیهما السلام فقال:

((هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِک بِغَیْرِ حِسَاب)).

وفوّض إلی نبیه فقال:

((وَمَا آتَاکُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)).

فما فوّض إلی نبیه فقد فوّض إلینا، یا بن أشیم من یرد الله أن یهدیه یشرح صدره للإسلام ومن یُرد أن یضله یجعل صدره ضیقاً حرجاً، أتدری ما الحرج؟ قلت: لا فقال بیده وضمّ أصابعه کالشیء المصمت الذی لا یخرج منه شیء ولا یدخل فیه شیء(1).

ثانیة عشر عن محمد بن سنان قال: کنتُ عند أبی جعفر الثانی علیه السلام فأجریت اختلاف الشیعة فقال: یا محمد ان الله تعالی لم یزل متفرداً بوحدانیته ثم خلق محمداً وعلیاً وفاطمة صلوات الله علیهم وآلهم فمکثوا ألف دهر، ثم خلق جمیع الأشیاء فأشهدهم خلقها وأجری طاعتهم علیها وفوّض أمورها إلیهم فهم یحلّون ما یشاءون، ولن یشاءوا إلا أن یشاء الله تبارک وتعالی، ثم قال: یا محمد هذه الدیانة التی من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها محق ومن لزمها لحق، خذها إلیک یا محمد(2).

1- سفینة البحار 4: 567 باب شیم.

2- سفینة البحار: 159 باب فوّض.

قراءة لروايات التفويض

اشارة

وردت روايات التفويض وكلها تشير إلى أن الله تعالى فوّض إلى نبيه أمر دينه، وهذا يعنى أن الأمر لا يحدد بحد فهو يشمل كل مناحى الحياة، إلا أن الذى يهمنا فى بحثنا هذا هو تفويض أمر التشريع للنبى ولأهل بيته عليهم السلام، فهل تطالعنا روايات التفويض الواردة بذلك؟ وما هى حدود هذه التفويضات؟.

الرواية الأولى

تتحدث الرواية عن عبودية النبى صلى الله عليه وآله وسلم المتقدمة على بعثته، أى أن العبودية لله تعالى التى امتاز بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم أهلته إلى تحمل مسؤولية البعثة فأوحى إليه وفوّض، ويبدو أن التفويض كان مقارناً للإيحاء وليس رتبة متقدمة عليه، إلا أن الترتيب يفيد الوحى، ثم التفويض إلى النبى فى أمر الدين.

ومعلوم انّ الرواية أعمّ من التفويض التشريعى والتفويض التكوينى حيث قال: وفوّض إليه الأشياء، والأشياء إشارة إلى العناية التكوينية بها من قبل النبيصلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن العناية التشريعية كذلك، إلا أن قرينة الآية تدل على الأول أى التفويض التشريعى لقوله تعالى: «ما آتاكم الرسول فخذوه» وهو أمر للامتثال بما يورده النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أحكام وتشريعات يُلزم بها المكلّفون.

الرواية الثانية

تعلّل هذه الرواية الولاية التشريعية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبيان المصلحة فى ذلك، وظاهرها أنها تشير إلى حالة التسليم التى لابد أن يتحلى بها المؤمن حينما يأتيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمرٌ ما، فالتسليم بما ورد عن النبى كاشف عن الطاعة التى يتحلى بها المكلف، إذن فالتفويض هو كشف عن حالة التسليم والمتابعة للمكلف التى لابد أن يمتاز بها عند تعاطيه مع ما يرد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أحكام.

الرواية الثالثة

تكشف هـذه الروايـة عن العنايـة الخاصـة التى أولاها الله تعالى لنبيه، فالتأديب يعنى أن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم وصل إلى حالة الكمـال والانـدكاك بالإرادة الإلهيـة، حتى صارت أرادته تمثّل إرادة الله تعالى، فالأدب هو عنايته تعالى بأن يرقى نبيه إلى مراقٍ تكون إرادته هى إرادة الله تعـالى، لـذا فمـا شـرّعه النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم أقره الله تعالى وأمضاه إذ إرادته لا تخالف إرادة الله ولا تتقاطع معها بحال، وبهـذا فتكون إرادة الله تعالى متمثلـة بإرادة رسوله، وتشـريعه متمم لتشـريعه تعالى لا للنقص بل للمصـلحة التى تقتضـيها حالات التشـريع هذه، فبعضـها منكشـفة لدينا كالطاعة والتسليم والامتثال لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و أخرى غير منكشفة إلا ما ينصّ عليها دليل.

الرواية الرابعة

فهى قريبة فى دلالتها للرواية الثالثة، إلا أنه ورد فيها: أن الله تعالى بعد ما «أدّب نبيه حتى إذا أقامه على ما أراد» ومعنى أنه أقامه على ما أراد، ظـاهرة فى أنه أوقفه على إرادته تعـالى فى أمور التشـريع وغيرهـا ثم «زكّـاهُ الله» وهى مرحلـة متأخرة عن التأديب، وكأنها مشـعرة بالامتحان والاختبـار، فلما اجتاز مرحلـة الاختبار زكاه سـبحانه وتعالى، أى أقر له كماله ومراقى معارفه الإلهيـة، ثم فوّض إليه دينه حتى صارت إرادته، إرادة الله تعالى وبذلک تتحدث الرواية عن مراحلٍ ثلاث:

الأولى: التأديب: وهى إقامته وإيقافه على ما يريده تعالى، أى إطلاعه على إرادته فى أمور دينه.

الثانية: التزكية، وهى الإقرار له بحسن أداء المهمة.

الثالثة: التفويض: حيث فوض إليه أمور دينه.

فالرواية كاشفة عن مراحل التفويض، وهى مراحل الترقى والكمال.

الرواية الخامسة

والرواية تبيّن إمكانية التفويض، فكما أن نبى الله سـليمان فوّض إليه ملكه، فكذلک رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم فوّض إليه أمر دينه، فـالتفويض على أسـاس مهمـة النبى التبليغيـة، فلمـا كـانت مهمـة سـليمان محـدودة فى ملكه فـالنبى مهمته تتسع بسـعة رسـالته الخاتمة للرسالات.

ثم أشارت الروايـة إلى سعـة دائرة هـذا التفويض لدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث لم يحدد الإمام عليه السلام هذه الدائـرة، فقـد جعلهـا مفتوحـة بقوله «فى كل شى» أى لم تتحدّد بشىء دون شىء تبعاً لمهمته صلى الله عليه وآله وسلم.

الرواية السادسة

كسابقاتها من الروايات، وقـد بينت حكمـة التفويض وهى طاعـة الرسول إزاء طاعـة الله تعالى، والرواية صـريحة فى أن التفويض يعم شأن الخلق تشـريعاً وتكويناً، وكأن الرواية هذه والرواية الثانية التى ورد فيها «وفوّض إليه الأشياء» صريحتان فى الأعم من التشريع والتكوين، بل مشعرتان بأن هناک ملازمة بينهما، فما كان فيه تفويض تشريع، كان معه تفويض تكوين، وما كان فيه من تفويض تكوين، فالأولى أن يكون تفويض تشريع كذلک.

الرواية السابعة

ظاهرة فى صـلاحية الرسول التشـريعية دون أن يرد فيها «شـىء»، وعدم ورود «شـىء» ـــ عند قول السائل: فوضع هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن يكون جاء فيه شىء؟ ـــ إشارة إلى عدم ورود الحكم فى القرآن إلا أن السنة النبوية قد قررت ذلک، مما يعنى أن سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم هى بمنزلة القرآن التشريعية، وكأنّ التفويض أراد

أن يقرر للنبى صـلى الله عليه وآله وسـلم صـلاحياته التشـريعية فضـلاً عن أن السنة كالقرآن الكريم فى تنزيل الحكم الشرعى، وهى إشارة واضـحة إلى تعزيز مقام النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم الـذى أخذ البعض ينظر إليه بأنه ناقل للوحى فقط دون أن يقرر له شأنية التشـريع، ويبدو لى أن ذلک رد على من أتهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأنه تقوّل على الله تعالى فى تعيين خليفته وأنه راعى قرابته دون أن يراعى حكم الله فيه.

الرواية الثامنة

كما فى الرواية السابعة، حيث أشارت إلى صـلاحية النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فى التشريع، وكأنّ المستدل بالآية لم يصب بما أراده من أن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم ليس له من الأمر «شـىء» فهى لا علاقـة لها بأمر التفويض، وإنما تتحدث عن أمر آخر، حيث من سياق الآيات التى قبلها تشـير إلى أن هداية الناس أمرها لا يرجع إلى النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم بل إلى أنفسـهم فإن أضلوا أو اهتدوا ليس له من أمر الإضلال والهداية شىء، لا كما ذهب إليه المستدل أو فهمه عند تلاوته الآية فى حضرة الإمام عليه السلام.

الرواية التاسعة

كسابقاتها فهى تشير إلى إقرار الله تعالى لنبيه بعض الأحكام، وفوّض إليه أمرها.

الرواية العاشرة

صلاة الإمام عليه السـلام على النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم ذاكراً لأوصافه فهو: صـفيه، خليله، نجيه ثمّ المـدبّر لأمره. والظاهر أن تدبير الأمر إشارة إلى إمكانية التفويض التى اصـطفاه الله تعالى لها، وتدبير أمره أى تدبير أمر خلقه وعباده من جهة طاعتهم لله وعبادتهم له، وهو لا يتم إلا بالولاية التشريعية فضلاً عن الولاية التكوينية.

الرواية الحادية عشر

تتحدث الرواية عن سماع الراوى ثلاث تفسيرات لآيةٍ واحدة مما دخله من الشک حتى عرف أن ذلک الاختلاف منه، ودلالتها على التفويض فى الأمر التشريعى:

انّ الإمام عليه السلام بيّن ثلاثة أحكام مختلفة لموضوع واحد ثم أكّد الإمام عليه السلام بقوله: «إن الله فوّض إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقال:

((هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِک بِغَيْرِ حِسَاب)).

فاست_دل الإم_ام عليه السلام على إمكانى_ة التفويض بما فوّض الله تعالى إلى سليمان، فكذلک فوّض إلى نبيه وما فوّضه إلى نبيه فوّضه إلى الأئمة عليهم السلام.

ثم ذيلت الرواية بإشارة الإمام عليه السلام إلى ضرورة التسليم لأمرهم ووصفه بأن الله تعالى يشرح صدر الرجل للإسلام عند تسليمه، أما إذا لم يرضَ بذلک فهو ممن كان صدره حرجاً ضيقاً، وهى إشارة إلى أن قبول القول بالتفويض لا يقبله إلا من كان صدره منشرحاً للإسلام ومسلماً لما ورد عنهم، كما انّ التفويض أمرٌ مفروغ منه عند الإمام، والكلام فى قبول هذا التفويض والتسليم له أو رفضه، فالإيمان رهن التسليم لأمرهم والقول بالتفويض إليهم من شرائطه.

الرواية الثانية عشر

وهى من الروايات الواضحة فى دلالتها على إمكانية التفويض، ويمكن أن نقف من خلالها على أمور:

الأمر الأول: انّ السائل شكا إلى الإمام عليه السلام اختلاف الشيعة فيما بينهم، لكن الإمام أجابه بأن هذا الاختلاف هم الذين ألقوه بين شيعتهم ليحفظوا جماعتهم من بطش الأعداء الذين كانوا يلاحقون أتباع أهل البيت عليهم السلام، وأنّ وجود هذا الاختلاف بينهم سيخفف من وطأة الملاحقة والتنكيل.

هذا من جانب، ومن جانب آخر ربّما يُفهم أن الإمام أراد أن يشير إلى أن هذا الاختلاف الحاصل بين الشيعة هو لعدم التسليم لحكمهم، فبعضهم يرى أن هذا الاختلاف فى الحكم يحتاج إلى تأويل وتفسير، وهذا التأويل ينجم عنه اختلاف فى الرأى ونتيجته اختلاف فى التسليم للحكم.

الأمر الثانى: أن الإمام عليه السلام أشار إلى أن التفويض ليس خروجاً على إرادته ووحدانيته تعالى فهو «لم يزل متفرداً بوحدانيته» وذلك لنفى الشرك عن مقالة التفويض، إذن فالتفويض لا ينافى الوحدانية.

الأمر الثالث: أن التفويض جاء بعد أن خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر ثم خلق الأشياء فأطلعهم عليها لقوله عليه السلام «فأشهدهم خلقها» فالشهادة على الخلقة أهلتهم للقيمومة عليها، ثم كانت مرحلة الإقرار لهم من قبل الأشياء لقوله «وأجرى طاعتهم عليها» فمرحلة أخذ الطاعة كانت بعد مرحلة الاشهاد، ثم كانت مرحلة التفويض التى جاءت بعد مرحلة الإشهاد.

الأمر الرابع: أن التفويض لا يعنى الخروج على إرادته سبحانه، بل إرادة النبى هى عين إرادة الله، لقوله عليه السلام «فهم يحلون ما يشاؤن ولن يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى».

فالتفويض يمرّ بمراحل أربع تبعاً لهذه الرواية:

الأولى: خلق النبى وأهل بيته قبل خلق الأشياء.

الثانية: إشهاد النبى والأئمة عليهم السلام على خلق الأشياء، أى مرحلة القيمومة كما عبرنا عنها.

الثالثة: أخذ الطاعة من قبل الأشياء، وهو التسليم للنبى والأئمة عليهم السلام.

الرابعة: التفويض، وهى المرحلة الأخيرة بعد هذه المراحل الثلاث.

هـذا مـا يمكن أن نسـتفيده من روايـات التفويض، فهو لاـ يعنى خروجـاً على إرادة الله تعالى، بل إرادة النبى تمثل إرادة الله تعالى،على أن التفويض تقتضـيه مصـلحة التبليغ ورعايته تعالى لعباده، كما أن مقتضـى العصـمة أن يكون المعصوم مؤهلاً لمسؤولية التشريع التى ائتمن عليها ولعل المقصود من أن الله أدّب نبيه ـــ كما فى بعض الروايات ـــ أى عصمه فأهله للمسؤولية.

الوسطية... لا إفراط ولا تفريط

أهم ما نسعى إليه فى كل تعاملاتنا وتعاطينا مع الأشياء هى الوسطية، فقد أكد الإسلام على سلوك هذه الوسطية فى كل شىء، حتى امتدح الأمة الإسلامية بأنّها أمةً وسطاً.

لقوله تعالى:

((جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)).

فالإفراط مرفوض لأنه يضع الأشـياء فى غير محلها، والتفريط ظلمٌ لأنه يُقصـى الحق عن محله، من هنا نظرة الإمامية إلى التفويض كما جاء على لسان

أهل البيت الذين أوضحوا المقصود من التفويض لئلا يختلط المفهوم وتتباين الرؤى.

فالتفويض لا يعنى عزل الأمر عنه تعالى، بل التفويض يعنى هيمنته على الأمر وقيمومته له وقدرته أن يفوض بعض شؤون الخلق، إلى بعض أوليائه ولكن تحت رعايته وضمن عنايته تعالى، كما أن زعم البعض بأن التفويض مزاحمة حقه تعالى فهو غير ورادٍ فى معنى التفويض، فالقول بالتفويض تنزيه الربوبية عن كل ما يشين القدرة والسلطنة، وإقرارٌ بالعبودية بكلّ ما يليق بالطاعة والمتابعة، لأنه إقرارٌ بالاحتياج إليه وعدم الاستغناء عنه، لأن المفوض إليه لا ينقطع عن فيض الله تعالى، الذى اجتباه للتفويض واصطفاه لتدبير أمور خلقه بعنايته تعالى فقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام قال: من زعم أنا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم ان إلينا الخلق والرزق فنحن منه براء كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى.

وعن زرارة قال: قلت للصادق عليه السلام: ان رجلاً من ولد عبدالله بن سبأ يقول بالتفويض، فقال عليه السلام: فما التفويض؟ فقلت يقول: إنّ الله تعالى خلق محمداً وعلياً ثم فوّض إليهما، فخلقا ورزقا وأحيا وأماتا، فقال عليه السلام: كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فأقرأ عليه قوله تعالى:

((أَمْ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهّارُ)).

فانصرفت إلى الرجل فأخبر ته بما قال الأمام الصادق عليه السلام، فكأنما ألقمته حجراً.

هكـذا تشـدد الأئمـة فى الرد على من قـال أن التفويض يعنى التصـرف فى الخلق من دون الله تعـالى، وبرّؤوا أنفسـهم الشـريفة عن دعوى الربوبية التى اتهموهم بها بعض الجهلة أو المصلحيين الذين يبتغون وراء هذه الدعاوى أموراً أخرى.

إنّ شـبهة الرجل من ولد عبدالله بن سبأ تشكّل مشكلة يثيرها بعضهم لإثارة الشكوك حول عقيدة التفويض، ولتصور للآخرين تثبيت التهمة فى الأذهان وترسيخ شبهة الدفاع عن التوحيد التى تهدّد مفاهيمه مقالة التفويض.

انّ مسألـة التفويض لاـ تعنى أكثر من إمكانيـة ممارسـة الولى بعض المهـام بـإذن الله تعالى كما فوض لعيسـى إبراء الأكمه وإحياء الموتى وخلق الطير من الطين إلى آخره من الأمور التى اختص بها الله تعالى، ففوّض بعضها إلى عباده المنتجبين الذين اصطفاهم ولمصلحة خلقه وعباده.

عبدالله بن سبأ حقيقة أم خيال.. أم ماذا؟

أشارت الرواية إلى أنّ السائل قال للإمام انّ رجلاً من ولد عبدالله بن سـبأ يقول...، والذى يمكن أن يُثار انّ شخصـية عبدالله بن سـبأ حقيقة موجودة لانتساب هذا القائل إليه، أو ربما يقال إنّ السائل أراد أن ينسب هذا المغالى إلى عبدالله بن سبأ صاحب الغلو، وانتساب الرجل إليه من باب انتساب فكره ومقالته لابن سبأ، حتى صار ابن سبأ يعرّف به كل من قال بمقالة الغلو، فهو ليس من ولده بل من دعاة مقالاته.

وعلى القول الأول فإنّ وجود عبدالله بن سبأ أمرٌ لا يخشى منه، فقوله بالغلو أو ما نُسب إليه لا تتحمّل الإمامية مسؤوليته، فالأمر أبين من أن

ينـاقش ليحتـاج إلى إثبـات، فـإنّ الإماميـة تبعاً لأئمتهم رفضوا كافـة أنواع الغلو والتطرف فى عقائـدهم، وأعلنوا براءتهم من هـذه المقالات وأصـحابها سواء كانت على لسان عبـدالله بن سـبأ أو غيره، وإثبات وجود عبدالله بن سـبأ أو عدم وجوده لا يغيّر من معادلة رفض الغلو عند الإمامية شـىء، كما أنّه لا يغيّر من تهم أعدائهم لهم بالغلو شـىء كذلک، فالأمر سـيّان، سواء أثبت الإمامية وجود ابن سـبأ أم لا، إذ التهمة واحدة، وما نُسب إلى عبدالله بن سـبأ من الغلو لا نحتاج إلى صـحة إثباته أو عدمها، بل المهم فى الأمر أنّ هناک تضخيماً فى شأن ابن سبأ ومـا نُسب إليه حاول مخالفو الإماميـة أن يتّكئوا على هـذه الشخصـية لنسـبة الغلو إلى الشـيعة، وهو أمرٌ لا ينتهى فى الأخـذ والرد، والنفى والإثبات.

وكأنّ إلغاء تهمـة الغلو عن الإماميـة متوقّفـة على نفى شخصـية ابن سـبأ، إلا انّ الأمر ليس كـذلک فإنّ باب التهم مفتوح، والتزييف سـلاح العاجز لاتّهام غيره، والمهم فى الأمر أن يذعن الآخر ببراءة الإمامية من مقالات الغلو بأىّ طريقةٍ كانت.

انّ ما ذكره السـيد مرتضى العسكرى رحمه الله من نفى شخصية ابن سبأ أمرٌ جديرٌ بالاهتمام والتقدير، إلا انّ القضية لا تتعلّق بنفى شخصية بقدر ما ينتهى البعض عن كيل التهم للآخرين، وتسـخير شخصـيات تاريخية لتقمّص أيّة تهمة مختلقة ونسبتها إلى هذه الشخصية أو تلک، فالأمر يتعلّق بمدى التقوى التى يتحلّى به الآخر لتقصّ ى حقيقة ما، دون نسـبة التُّهم إلى المقابل دون دليل، فضلاً عن انّ القضية تدور مدار الذوق والأدب والوجدان.

القرآن هو المرجع فی الأمر

يبدو أنّ الشبهات التی حاول البعض أن يلصقها بمفردة التفويض ومصادرة بعض المعارف الإسلامية بسبب التهويل فی التهم والشبهات ستخسر إذا ما وقفنا علی روايات أهل البيت عليهم السلام ومحاولة إخراج هذا الأمر إلی واقع يعيشه المسلمون.

فالقرآن هو المرجع لجميع المسلمين إلا أن التعاطی معه يختلف باختلاف القابليات والإمكانيات التی يختص بها بعضهم، وقد أفرزت بعض الآيات أولئک الذين يقدرون علی فهمه ومعرفة معانيه بالرغم من المتشابهات الواردة فيه لقول تعالی:

((هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَيْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّکَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))(1).

إذن فلا يستطيع أحدٌ أن يصل إلی حقيقة تأويله إلا أولئک المصطفون الذين وصفهم سبحانه وتعالی بالراسخين فی العلم حيث حصر سبحانه إمكانية الوصول إلی کنه أسرار وحقيقة معانيه فی أولئک النخبة من المصطفين، ولا يمكن أن نتجاهل هذه الحقيقة ما لم نقف علی أولئک الراسخين فی العلم، وکلما استطلعنا سيرة المسلمين من محدثين وعلماء ومفسرين فإننا نجدهم عاجزين أن يکونوا أهل هذه الآية وأصحابها، ولا يمكن أن نُسلّم بعدم وجود مصاديق لهذه الآية، فمعنی

1- آل عمران: 7.

ذلک إلغاء لمفهومها، فلابـد اذن أن نبحث عن تلک المصادیق التی تنطبق علیها الآیـة، وقد ورد أن القرآن یجری کما یجری اللیل والنهار، أی اسـتمراریة القرآن الکریم فی التعـاطی معه دلیـل علی حیـاة القرآن وفـاعلیته، ولاـ یمکن لنـا أن نقـف علی روایـات وردت فی إمکـانیة اسـتخراج الإحکام وتأویل المتشابهات من القرآن الکریم کما نجـدها فی أئمة أهل البیت الذین أشاروا إلی أن کل ما یحتاجونه یجدونه فی القرآن لأـن فیه تبیـان کـل شـیء، إلاـ أن ذلک لا یرقی إلیه کل أحـد ما لـم تکن هـذه النخبـة وهـم الراسـخون فی العلـم قـد فکوا رموز آیاته المتشابهة.

فقد ورد عن الباقر علیه السـلام قال: ان الله تبارک وتعالی لـم یدع شیء نحتاج إلیه إلا أنزله فی کتابه وبینه لرسوله محمد صلی الله علیه وآله وسلم.

وعن أبی عبـدالله الصـادق علیه السـلام قال: ما من أمر یختلف فیه اثنان إلا وله أصل فی کتاب الله ولکن لـم تبلغه عقول الرجال، وقال علیه السلام: إنی أعلم ما فی السماوات وما فی الأرض واعلم ما فی الجنة والنار وأعلم ما کان وما یکون، علمت ذلک من کتاب الله تعالی حیث یقول فیه تبیان کل شـیء وقال علیه السـلام: نحن والله نعلم ما فی الجنة والنار، وما فی السماوات والأرض، وذلک کله فی کتاب الله ثم تلا قوله تعالی:

((وَنزلْنَا عَلَیْکَ الْکِتَابَ تِبْیَانًا لِکُلِّ شَیْءٍ)).

وعن الرضـا علیه السـلام: قال جهل القوم وخـدعوا عن أدیانهم، ان الله لـم یقبض نبیه حتی أکمل الـدین وأنزل علیه القرآن فیه تفصـیل کل شیء یبین فیه الحلال والحرام والحدود والأحکام وجمیع ما نحتاجه فقال تعالی:

((مَا فَرَّطْنَا فِی الْکِتَابِ مِنْ شَیْءٍ)).

فدلالـة الروايـات واضـحة فی أن المرجع هو القرآن، إلاـ أن ذلـک لاـ یعنی أن یکون القرآن مرجعاً لکلّ أحـد فی متشابهاته ما لـم یکن من المصـطفین الـذین اختارهـم الله تعالی لبیان کتابه ومتشابه آیاته، علی أن القرآن المقصود منه هو حقیقـة القرآن النوریـة المتنزلـة من اللوح المحفوظ ولیس هو القرآن بخطه ورسـمه، أی لیس التنزیـل الخطی بـل هو التنزیـل النوری الـذی یفتـح آفاق بینات القرآن وأحکامه وآیاته المتشابهات، وإلا لو کان التنزیل الخطی لما استطاع أحدٌ أن یفتح لغز هذه المتشابهات ولبقیت علی إبهامها ولتعطل القرآن إلا من تلاوته، فی حین تجد أن أهل البیت علیهم السـلام نوهوا عن إمکانیاتهم فی الوقوف علی الحکم الشـرعی من خلال سبر آیات القرآن بما أفاض الله علیهم من نور معارفه بعد أن اصطفاهم.

حِسبة الکذب والتزویر!

فقد تعارف عند البعض وضع الحدیث حِسبةً لتأسیس قاعدة سار علیها الکثیر.

ففی ترجمـة أبی عمار المروزی قیل لأبی عصـمة نوح بن أبی مریم المروزی: من أین لک عن عکرمة عن ابن عباس فی فضائل القرآن سورةً سورة ولیس عند أصـحاب عکرمة شیء منه فقال: إنی رأیت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبی حنیفة، ومغازی ابن إسحاق فوضعت هـذا الحـدیث حسـبةً، وقال أبو عبـدالله النهاوندی قلت لغلام خلیل: هذه الأحادیث التی تحدث بها من الرقاق فقال: وضـعناها لنرقق بها قلوب العامة.

وعن محمد بن عیسـی الطباع قال: سمعت ابن مهدی یقول لمیسرة بن عبد ربه: من أین جئت بهذه الأحادیث من قرأ فله کذا، قال: وضعتها أرغّب الناس فیها(1).

1- الآثار المرفوعة فی الأخبار الموضوعة للکنوی: 15.

وهكذا تأسست قاعدة الحسبة فى الحديث الموضوع، إذ ستجد المئات من أولئک المتبرعين فى رفع مقامات البعض، لكن بالاتجاه الذى يخدم رؤيته السياسية الخاصة.

من هنا ننطلق فى رؤيتنا الثابتة من أنّ الأصل هو الشک فى أحاديث فضائل الصحابة التى وضعها محدّثو أهل السنة مقابلة للجهد النبوى الذى أسّسه فى فضائل على بن أبى طالب، فإنّ «الحسبة السياسية» التى يتحرّک فى فضائها جهد رواة «الحديث السلفى» ـــ وقد أشرنا فى بعض بحوثنا انّ الحديث السلفى هو الأعمّ من حديث أهل السنة أو المدرسة السلفية فهى أحاديث المدرسة المقابلة لمدرسة أهل البيت ـــ وبذلک فلابدّ أن نتوقّف فى أحاديث هذه الفضائل كما توقّف كثير من علماء أهل السنّة فى قبولها.

ما نفهمه من التفويض التشريعى

إذا عرفنا ذلک أمكن القول بأن التفويض التشريعى لعله أحد محاولات الفهم الخاص لمتشابهات القرآن الكريم، وكأن النبى أو الإمام يحاولان من خلال التفويض التشريعى تنزيل الأحكام وهى فى مكنون الآيات المتشابهة.

وعلى هذا يمكن أن نؤسس: إنّ التفويض فى التشريعات هى حالات تنزيل الحكم فى الوقت المناسب والزمان الذى يحتاج إليه هذا الحكم، وبمعنى آخر انّ الأحكام موجودة كلها فى اللوح المحفوظ عند الملكوت الأعلى ومن خلال ما فوّض الله تعالى للنبى ولأهل بيته فى تنزيل الأحكام، فإنهم بعد تشخيصهم لمصلحة التنزيل يقومون بتنزيل هذه الأحكام وإقرارها على المكلفين.

ولعل من رواية الإمام الرضا عليه السلام يتضح الأمر بعد قوله: «انّ الله لم يقبض نبيه حتى أكمل الدين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء يبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما نحتاجه..».

والرواية ظاهرة فى وجود الحكم الشرعى إلا أنّ النبى والأئمة لهم الحق فى تنزيل هذا الحكم لتشخيصهم مصلحة التنزيل ومتى شاءوا، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله، وبمعنى آخر.

أن الأحكام الكلية والأحكام الجزئية كلها سابقة فى علم الله تعالى، وكل ما يستجد من حوادث فعلمها عنده فليس بغافلٍ عما سيكون، حيث حدد الحكم كليهُ وجزئيهُ ثم ترک منجزية الاحكام لوقتها المناسب وزمانها، إذ لا يمكن لنا أن نقول أن مستجدات الأحكام ومستحدثات المسائل يأتى بها النبى لأنها صارت بعد ما لم تكن ـــ كما يتراء من كلام بعضهم ـــ وإنما الأحكام كلها فى لوح الواقع المعبّر عنه باللوح المحفوظ، ويبقى تنزيلها من قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما يرى المصلحة فى ذلک أى أن مهمة التوقيت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيته.

هذا ما نفهمه من التفويض التشريعى، ولسنا نقطع بهذا التحليل إلا أننا استفدناه من ظواهر الروايات الواردة فى مفهوم التفويض.

مبررات هذا الرأى إنّ دواعى ما تقدّم من رأى حول الولاية التشريعية للنبى وللإمام ينطلق من تفسير الرأى السائد بأنّ النبى والإمام لهما حق التشريع وببيان أوضح أن هناک مساحات فراغ متروكة يملأها النبى بأحكام ما، وهذا كله تقتضيه المصلحة الإلهية

التی لا یطلع علیها إلا النبی وأوصیاؤه ضرورة أن یکون للنبی شأنیة الطاعة من قبل المکلفین.

((یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ)).

وهو الحق لا ـ ریب فیه والضـرورة المقتضـیة لمقـامه القدسـی، لما للنبی وللأئمـة من مقامات القرب إلی الله تعالی، وما تقتضـیه مهمتهم التبلیغیـة، فإنهم بحاجـة إلی هـذا التفویض والولایة التشـریعیـة، لکن الکلام فی کیفیة هذا التفویض والولایة، هل هی تنطلق من رغبات النبی اعتباطاً أو دون الرکون إلی أصل؟.

وما معنی وما یشاؤون إلا أن یشاء الله، کما وردت فی روایات التفویض.

نعم انّ إرادة النبی والأئمـة مندکـة بـإرادته تعـالی لا تخالفه ولا تفارقه طرفـة عین، وما ورد فی الروایات من أنّ الله أدّب نبیه، أی جعل إرادة النبی لا تفارق إرادته تعالی، فهی تبع، فکل ما یریده النبی یریده تعالی.

أی وقوفه علی المصالح ومناشئ الأمور جعل النبی تتطابق إرادته مع إرادة الله تعالی.

والرأی الذی ارتأیناه لغرض الجمع بین کون النبی صلی الله علیه وآله وسلم مشرّعاً وبین کونه لا ینطق عن الهوی کما فی قوله تعالی:

((مَا ضَلَّ صَاحِبُکُمْ وَمَا غَوَی (2) وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحَیٰ))(1).

1- النجم: 2، 3.

وقوله تعالى:

((قُلْ مَا يَكُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَیَّ إِنِّی أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّی عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))(1).

وقوله تعالى:

((وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ))(2).

والآيات وإن كانت ظاهرة فی بيان أن القرآن وحی الله تعالى وليس من النبی، إلا أن الآيات تشير إلى أنّ النبی صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون الأمر من تلقاء نفسه ما لم تكن إرادة الله تعالى داخلة فيه، ولكی نجمع بين هذه الآيات فی كون النبی لا يتقول على الله فی شیء، وبين ولايته التشريعية، اخترنا هذا الرأی وهو: أن النبی صلى الله عليه وآله وسلم ولايته التشريعية هی حالة تنزيل الأحكام إلى المكلفين فيما إذا وجد مصلحة تنزيلية فی ذلک.

ويبقى هذا الرأی قابلاً للمناقشة حيث لا قطع ولا جزم فی ذلک بل هو مجرد جمع بين مقولة التفويض التشريعی للاحكام، وبين أصل ثابت من كون النبی صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى.

على أن هذا الرأی لا يتعارض مع ما ورد عن الأئمة عليهم السلام فی أن النبی صلى الله عليه وآله وسلم زاد فی الصلاة وصوم السنة وأقره الله عليه، كما فی حديث الإمام الصادق عليه السلام:

1- يونس: 15.

2- الحاقة: 45، 46.

«إن الله عز وجل فرض ركعتين، ركعتين، عشر ركعات، فأضاف النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الركعتين ركعتين وإلى المغرب ركعة، فأجاز الله عز وجل له ذلک..».

وفرض الله عز وجل فى السنة صوم شهر رمضان وسن الرسول صوم شعبان وثلاثة أيام فى كل شهر مثلى الفريضة، فأجاز الله عز وجل له ذلک.

فهذه الرواية لا تتعارض مع ما ذكرناه من أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينزّل الأحكام فى أوقاتها المناسبة، والرواية مُشعرة بأنّ سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ملازمة لأول وقت التشريع فلا يقال إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كيف اختار الزمان المناسب والأمر فى أول التشريع فلو كان كذلک لكان الحكيم أولى بأن ينزّل التشريع فى زمانه المناسب تاماً.

إلا اننا نقول انّ الله تعالى فوّض للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بعض الأحكام وفى بعض الحالات لغرض مهم يتعلق بمصلحة ما، فضلاً عن تحقق طاعة المكلفين لأوامر النبى ونواهيه، وليبين الله تعالى مقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أن تشريعه كتشريع الله تعالى، وهو فى النتيجة واحد لا ينفک عنه.

أقسام الولاية التشريعية

إذن فالولاية التشريعية تشمل:

أولاً: تفويض الله للنبى بعض الأحكام، وقد بيّنا معنى التفويض التشريعى.

ثانياً: رعايته لسياسة العباد واجتماعهم، والتأكيد على دوره الفاعل فى تنمية الحياة الاجتماعية الرشيدة.

وقد أكد القرآن الكريم على ذلک بقوله:

((النَّبِیُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ))(1).

فله أن یتصرف بالولایة المطلقة فی أنفسهم وفی کل ما یملکون من بابٍ أولی.

وقال تعالی:

((یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ))(2).

فطاعة الرسول فرع ولایته التشریعیة، إذ لا یُطاع إلا من حیث له ولایة التشریع لیُطاع فی تشریعه الذی أقره الله له، فإن لم یکن له التدبیر التشریعی والولایة علی ذلک، فماذا تعنی الطاعة بعد ذلک وعلی ماذا یُطاع ویُتّبع؟.

وإذا قیل انّ طاعته فی التبلیغ، فإنّ قوله تعالی کافٍ فی ذلک حیث قال:

((أَطِیعُوا اللَّهَ)).

وهی نصّ فی طاعة الله التشریعیة، فضلاً عن تأکید القرآن بأنّ النبی یبلّغ عن الله تعالی فی عدة آیات منها قوله تعالی:

((وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحَىٰ)).

وقوله تعالی حکایة عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

((إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِکُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))(3).

1- الأحزاب: 6.

2- النساء: 59.

3- الرعد: 13.

إلى غيرها من الآيات الكريمة، فى حين اقتصرت هذه الآية:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ)).

فتكون طاعته صلى الله عليه وآله وسلم فى التشريع لولايته التشريعية بعد ذلک.

ثالثاً: إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرجع الأمة فى الخصومة والقضاء، فهو منصب مهم يتفرع على ولايته التشريعية لقوله تعالى:

((فَلَا وَرَبِّکَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوکَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))(1).

فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أمينا على الأمة ووليا عليها لولايته التشريعية فى القضاء، فلا يرجع لأحد دون النبى أو أوصيائه، وإلا فالحكومة فى الخصومات غير صحيحة ولا عادلة بعد ذلک، فعن الصادق عليه السلام: اتقوا الحكومة فإنّ الحكومة للإمام العالم بالقضاء، العادل فى المسلمين كنبى أو وصى.

وهذا التحديد من قبل الإمام الصادق عليه السلام يؤكد إمكانية النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه فى فض الخصومات والمنازعات على أساس تدبير سماوى وقضاء إلهى وليس للعاطفة أو الرأى مدخلية فى ذلک، إذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته أدرى وأعرف بقضاء الله وحكمه لما لهم من ولاية تشريعية فى هذا الشأن.

فإذن ولاية النبى التشريعية تظهر فى ثلاثة موارد تفويض الأحكام وقيادته للأمة وحكومته فى القضاء. إلى غير ذلک من الشؤون التى فوّض الله نبيه بها وهى خارجة عن العد والحصر.

1- النساء: 65.

يأتى بـدين جديـد ولعل ما يشار فى بعض الروايات من أن الإمام المهـدى عليه السـلام يأتى بـدين جديـد، أى بما يبثه الإمام عليه السـلام حسب ولاـيته التشـريعية من أحكام بعـد تنزيلها لم تكن تناسب الزمان السابق على زمانه عليه السـلام، فهو يعيش لتأسـيس دولته العالمية التى تقتضى معها إيجاد أحكام جديدة.

وهذا الرأى هو أحدى تفسيرات لما يرد من أن الإمام يأتى بدين جديد فضلاً عما عبّر عنه البعض من أن ابتعاد الناس عن أحكام الله يعنى أن مـا يعيـده الإمام من أحكام إلى واقع التطبيق سـيكون فى نظرهم أتى بـدين، إلا أن الرأى هـذا يتعارض مع ما نجـده من واقع الحال، حيث الناس تعيش الآن ـــ كلما تقدّم القرب من عصـر الظهور ـــ حالة الصـحوة واتباع الحق، إذ الصـحوة الإسلامية المحمدية هى واقع زماننا كما هو ظاهر.

ان ما يواجهه الإمام المهـدى فى تأسـيس دولته العالميـة هى حالـة التحولات السياسـية الخطيرة، والاجتماعيـة المعقـدة، والعلمية المثيرة تتطلب من الإمام عليه السـلام مزاولة أحكام جديدة تُضاف إلى الواقع التطبيقى الحياتى والممارسة اليومية الدائمة، أى أن ديمومة التطورات السـريعة والمتلاحقة تفرض على العلاقات العامة نوعاً جديداً من الحيوية التى تترك مساحات واسعة تحتاج معها إلى أحكام يملأها الإمام مبسوط اليد ضمن ولايته التشريعية.

من هنا نلمس ضـرورة الإمام المعصوم المؤهل لهـذه الولايـة التشـريعية، وهذا التقرير لولاية التشـريع يُعدُ فتحاً تحقيقياً جديداً فى ضـرورة العصمة التى يؤكدها الأمامية فى عقائدهم.

الولاية التشريعية فى منظور أهل السنة

هـذا ما كان من أمر ولاية النبى التشـريعية عند الشـيعة، ولا يمكن أن ينكر ذلک أحدٌ من المسـلمين، وإلا فلابد من تجريد النبى من مهامه التبليغية بل ومسؤوليته النبوية، ولا يبقى له من الصلاحيات إلا نقل الوحى فقط، وإلغاء دوره القيادى والإصلاحى بعد ذلک.

لذا فإننا نجد من خلال كلمات أهل السنة ما يشير إلى ضرورة تفويض النبى التشريعى وإن لم ينصوا على ذلک، أى انّ مقتضى تنظيرهم أن يكون للنبيصلى الله عليه وآله وسلم الصلاحية فى التشريع، فقد ذكروا فى تعريف الولاية العامة قولهم:

الولاية العامة: سـلطة على إلزام الغير وإنفاذ التصـرف عليه بدون تفويض منه، تتعلق بأمور الدين والدنيا والنفس والمال، وتهيمن على مرافق الحياة العامة وشؤونها، من أجل جلب المصالح للأمة ودرء المفاسد عنها.

وهى منصب دينى ودنيوى شرّع لتحقيق ثلاثة أمور:

___ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

___ وأداء الأمانات إلى أهلها.

___ والحكم بينهم بالعدل.

قال ابن تيمية: والمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذى متى فاتهم فإنهم خسروا خساناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به فى الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم(1).

وللولاية العامة مراتب واختصاصات تتفاوت فيما بينها وتتدرج من ولاية الإمام الأعظم إلى ولاية نوابه وولاته ونحوهم، وبها يناط تجهيز الجيوش، وسد الثغور وجباية الأموال من حلها، وصرفها فى محلها، وتعيين القضاة والولاة، وإقامة الحج والجماعات، وإقامة الحدود والتعازير، وقمع البغاة والمفسدين، وحماية بيضة الدين وفصل الخصومات، وقطع المنازعات، ونصب الأوصياء، والنظار والمتولين ومحاسبتهم، وما سوى ذلک من الأمور التى يستتب بها الأمن ويحكّم شرع الله.

قال ابن تيمية: وأصل ذلک أن تعلم أنّ جميع الولايات فى الإسلام مقصودها أن يكون الدين كلّه لله، وأن تكون كلمة الله هى العليا، فإنّ الله سبحانه انما خلق الخلق لذلک وبه أنزل الكتب وله أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون(2).

ولهذا اعتبرت الشريعة الإسلامية ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، لأنّ بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع من رأس، حتى قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم» فأوجب عليه الصلاة والسلام تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر، تنبيهاً بذلک

1- مجموع فتاوى ابن تيمية 28: 68 عن الموسوعة الفقهية الكويتية45: 140.

2- الحسبة: 8 عن الموسوعة الفقهية الكويتية.

على سائر أنواع الاجتماع.. كذلك أوجب الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وسلطان، وكذا سائر ما أوجب من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجُمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، وهى لا تتم إلا بالقوة والإمارة المستلزمة للولاية العامة(1).

هذا ما أفادته الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية لسنة 1427 هـ ـــ 2006 م، وبغض النظر عن محاولتهم فى تأصيل فقه ابن تيمية والتأكيد على وجهات نظره، إلا أن المهم فى الأمر أن التنظير الفقهى لدى أهل السنة يتجه باتجاه إعطاء الصلاحيات الواسعة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى إدارة شؤون أمته وإكمال رسالته، حتى ذكروا فى تعداد مهامه النبوية أنها تشمل جميع المناحى الدينية والدنيوية، وهو أمرٌ يتطلب أن يكون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم الولاية التامة فى التشريع الذى من خلاله يستيطع أن يدير شؤون أمته، فإصلاح الأمة، وأن يكون الدين كلّه لله، وحماية بيضة الدين، وفصل الخصومات، وقطع المنازعات، وبالتالى أن تكون كلمة الله هى العليا، كما ورد فى تنظيراتهم، فإنّ ذلك يقتضى أن تكون يد النبى التشريعية مبسوطة وصلاحياته مفتوحة، وأن تشعر الأمة بأهمية دور النبيصلى الله عليه وآله وسلم التبليغى وأنّ طاعته وطاعة الله واحدة كل ذلك لا يتم بمعزل عن ولايته التشريعية التى لابد أن يفوّض بها من قبل الله تعالى، وإلا تبقى هذه العناوين تنظيرية جامدة قابعة فى زوايا التمنى والترجى، دون أن نجد لها تفعيلاً فى الخارج ينسجم وحركة النبى الإصلاحية. وق_ال الراشدى فى كتاب_ه (المصباح فى رسم المفتى ومناهج الإفتاء) ما نصه:

1- السياسة الشرعية لابن تيمية: 217، عن الموسوعة الفقهية الكويتية: 140.

كيفية تشريع الأحكام:

قلتُ: أعنى الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الحق فى سنّ الأحكام التشريعية

((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْکَ الذِّکْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَکَّرُونَ))(1).

فالأحكام القرآنية والأحكام النبوية الصادرة فى هذا العصر إنما هى تشريع، وهذا التشريع أصل الدين وأساسه. وكان التشريع يصدر فى كثير من الأحيان فى صورة قواعد جامعة، وأحياناً يبيّن الحكم وعلّته، وطرق دلالة النصوص على الأحكام واسعة مستوفاة فى كتب الأصول. ولم يكن البحث فى الأحكام زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثل بحث الفقهاء فى العصور المتأخرة، فترى الفقهاء يبينون بأقصى ما يستطيعون الأركان والشروط والآداب، فيميزون كل واحد عن غيره بدليله، ويفرضون الصور التى لم تقع ولم تحدث، ويبينون حكم الصور المفروضة فيما لو حصلت أو وقعت، ويحدّدون ما يقبل الحد، ويحصرون ما يقبل الحصر.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ فيرى أصحابه وضوءه، فيأخذون به من غير أن يبيّن أن هذا ركن وذلک أدب، وكان يصلى فيرون صلاته، فيصلون كما رأوه يصلى، وحج فرمق الناس حجّه ففعلوا كما فعل، هذا كان غالب حاله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يبيّن أن فروض الوضوء ستة أو أربعة، ولم يفرض أنه يحتمل أن يتوضأ الإنسان بغير موالاة، أو يتوضأ بماء تغيّر لونه أو طعمه أو ريحه بظاهر وقع فيه ونحو ذلک، حتى يحكم عليه بالصحة والفساد، وقلّما كان أصحابه يسألونه عن هذه الأشياء. وكان مصدر الأحكام فى هذا العصر الوحى الإلهى المنزل على عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

1- النحل: 44.

والملاحظ أن التشـريعات الإسـلامية لم تصدر دفعة واحدة وإنما شرّعت شيئاً فشيئاً، فالقرآن نزل منجماً، وبيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للأحكام التشريعية استمر أيضاً ثلاثة وعشرين عاماً، والأحكام التشريعية شرع قسماً منها دون أن تسبقه واقعة تستدعى البيان، ودون أن يسبقه سؤال يحتاج إلى جواب، ومن هذا القسم العبادات وبعض المعاملات، ومن هذا بيان الوقائع التى كان تحدث فى ذلک العصر فينزل الوحى أو يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القول بياناً لحكم تلک الوقائع(1).

وفى موضع آخر قال تحت عنوان «تصرّف الرسول بالفتيا والقضاء والإمامة»: قلت: إنّ تصرفات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة منها ما تتعلق بالتبليغ والفتيا، ومنها ما تتعلق بالقضاء والإمامة العظمى، ولكل منهما أحكام مختلفة، وتستنبط منها مسائل متعددة، وقد بحث فيه الإمام القرافى المالكى فى (الفروق) 1: 205، 206، بحثاً طويلاً، ونورد هنا ملخصه وهو: إنّ الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام الأعظم والقاضى الأحكم والمفتى الأعلم، فبهذه الجهات هو إمام الأئمة وقاضى القضاة ومفتى الأمة، فجميع المناصب الدينية وضعها الله إليه فى رسالته، وهو أعظم من كل من تولّى منصباً منها فى ذلک المنصب إلى يوم القيامـة، فما من منصب إلا وهو منتصف فى أعلى رتبة، غير انّ غالب تصرفاته صلى الله عليه وآله وسلم منها ما يكون بالفتيا إجماعاً، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء، ومنها ما يجمع الناس على أنـه بالإمامـة، ومنهـا مـا تختلـف العلمـاء فيه لـتردده بين رتبـتين فصاعـداً، فمنهم من يغلب عليه رتبـة، ومنهم من يغلب عليه أخرى، فبتصرفاته هذه

1- المصباح فى رسم المفتى ومناهج الإفتاء: 90، 91، عن الموسوعة الفقهية الكويتية:144.

تختلف آثارها فی الشریعة الإسلامیة، فکل ما قاله أو فعله علی سبیل الفتیا کان ذلک حکما کلیاً عاماً علی الثقلین إلی یوم لا بیع فیه ولا خلة، فإن کان مأموراً به أقدم علیه کل أحد بنفسه، وکذلک المباح، وإن کان منهیاً عنه اجتنبه کل أحد بنفسه، وما تصرف فیه بوصف القضاء لا یجوز لأحد أن یقدم علیه إلا بحکم حاکم اقتداءً به صلی الله علیه وآله وسلم.

قلت: ومن کلّ هذه التصرفات تستنبط مسائل فقهیة، ویتضح بها الفرق بین الحکم والفتیا، والحکم بالقضاء، وتنفیذ الأحکام بالإمامة الکبری(1).

ولغرض الوقوف علی بعض ما جاء به کلام المرشدی فی المصباح، نلخص ما أورده بأمور:

الأمر الأول: جعل الولایة الکبری والإمامة العظمی للنبی صلی الله علیه وآله وسلم، ومن مقتضیات ولایته إدارة الأمة وإصلاح شؤونها، وما یتعلق بینها وبین الله تعالی من علاقة توصلها إلی رضاه وقربه، وهذا لا یتم إلا أن یکون للنبی صلی الله علیه وآله وسلم ولایة تشریع الأحکام التی تقول بها الإمامیة فی مقرراتهم عن الولایة التشریعیة.

الأمر الثانی: فی بیان نزول الأحکام التشریعیة کما عبّر عنها بقوله: «وبیان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم للأحکام التشریعیة استمر أیضاً ثلاثة وعشرین عاماً، والأحکام التشریعیة شرّع قسماً منها دون أن تسبقه واقعة تستدعی البیان... إلی أن قال: ومن هذا بیان الوقائع التی کانت تجد فی ذلک العصر، فینزل الوحی أو یقول الرسول صلی الله علیه وآله وسلم القول بیاناً لحکم تلک الوقائع». وکلامه یقتضی أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم لابد أن تکون له الولایة فی التشریع، فمستجدات الأحکام أو نفس الأحکام الکلیة،

1- المصباح فی رسم المفتی ومناهج الإفتاء: 90، 91، عن الموسوعة الفقهیة الکویتیة.

اما أن تكون بيّنها منه صـلى الله عليه وآله وسـلم فيقره الله عليها، وهو المعنى الواسع الذى قال به الإمامية فى تنظيرهم للولاية التشريعة، أو هى مهمـة تنزيل الأحكام من أصولها وفى أزمانها المناسـبة لها، وهو القول الذى أثبتناه فى معنى الولاية التشـريعية، ولا ثالث لهما، فالأمر يدور فى قول المرشدى بين آلية تبليغ الأحكام الشرعية، وبين إيجادها، فالنزاع لفظى أكثر من كونه حقيقى.

الأمر الثالث: انّ مصطلح «فتوى» الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى أورده المرشدى غير واضح، وهو لا يتعدى عن ولايته التشريعية، فهى ليست كفتوى الفقيه كى يعتمد فيها على الاستحسان، أو القياس أو ما إلى ذلک من آليات الفتوى التى يقرّها المرشدى وغيرها.

نعم إذا قلنا اتيان الأحكام على رأيه صـلى الله عليه وآله وسـلم، فقد رجعنا إلى ولايته التشريعية التى يتحكم بها عند الحكم، وكلامه واضح عند قوله:

«ثم تقع تصرفاته صلى الله عليه وآله وسلم منها ما يكون بالفتيا إجماعاً، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء، ومنها ما يجمع الناس على انه بالإمامة، ومنها ما يختلف العلماء فيه لتردده بين رتبتين فصاعداً، فمنهم من يغلب عليه رتبة، ومنهم من يغلب عليه أخرى».

فالإقرار بإمامته صـلى الله عليه وآله وسـلم يوجب القول بأنّ الأحكام الصادرة فى رتبة الإمامة لا تكون بالفتيا بل هى بولايته التشـريعية التى من خلالها يسـتطيع أن يـدير شؤون أمته ومتطلبات رسالته، وألا يكون حاله حال الفقهاء الباقين وحكمه الشـرعى الذى يصدره حكم الفتيا التى يصدرها أى فقيه، فلا تبقى ضـرورة الإلزام فى قولهصـلى الله عليه وآله وسـلم لأنها فى مصافى الفتاوى التى يصدرها أى فقيه، ويمكن للبعض أن يعدل إلى ما

يقابلها من فتوى أخرى بحجة أنها فتوى كباقى فتاوى الفقهاء، وبهذا فلا يكون بعد ذلک موقعاً لأحكام النبى وأوامره وأهمية لطاعته، وقد حثّ القرآن الكريم بقوله تعالى:

((أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ))(1).

فإذا قُرِّرَتْ أحكامه صلى الله عليه وآله وسلم على أنها ولاية تشريعية مفروضة على كل أحد فلا حجة لأحد فى العدول عنها أو التوقف فى قبولها والعمل بها، كما فى كلام المرشدى الذى يقول فيه: «ولم يكن البحث فى الأحكام فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثل بحث الفقهاء فى العصور المتأخرة، فترى الفقهاء يبينون بأقصى ما يستطيعون الأركان والشروط والآداب، فيميزون كل واحد عن غيره بدليله».

وهى إشارة واضحة فى الفرق بين فتاوى الفقهاء وبين الحكم الصادر عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم، فإن أدخلناه فى مفهوم الفتوى فكان حاله حال باقى فتاوى الفقهاء، وإلا فلابد من التسليم بأنّ للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ولاية التشريع وهى غير فتوى الفقيه، وهذا ما يلزم من تنظيرات علماء أهل السنة فى تحقيقهم للأحكام الصادرة عنهصلى الله عليه وآله وسلم.

إذن فلا خلاف بين قول الإمامية من ثبوت الولاية التشريعية واستحقاقها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وبين قول علماء أهل السنة من أن الفتوى النبوية هى من مراتب الإمامة، وهى ولايته وإمامته التشريعية.

إذا ثبت أمر الولاية التشريعية للنبى، فقد ثبت معه أمر الولاية لخليفته المتوفر على شروط الإمامة العظمى وأهمها العصمة، فإنها منشأ كل ولاية وأهلية كل

1- النساء: 59.

إمامة، وإذا علمنا أن أئمة أهل البيت قد توفر فيهم هذا الشـرط ـــ شرط العصمة ـــ فقد توفرت أهليتهم للإمامة والولاية التشريعية، وإلا فلا يمكن أن نقول بانقطاع ولاية التشريع بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ الحاجة إلى شؤون الأمة التشريعية وقيادتهم إلى حيث رضا الله تعالى وعبادته يتوقف بالقيم على هذا الشرع الذى لا يمكن أن يخلو منه زمان دون زمان، ولا تتوفر لأحد إمكانية العصمة، ممن ادّعى خلافة النبى على مستوى الدعاوى السياسية غير المستندة إلى شرعية الوصية والاستخلاف.

فهرس المصادر

1. القرآن الكريم.

2. أبجد العلوم / صديق القنوجى البخارى / تحقيق: احمد شمس الدين / دار الكتب العلمية ـــ بيروت، 1999م.

3. الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة / اللكنوى / تحقيق: محمد بيونى زغلول / دار الكتب العلمية ـــ بيروت، 1984م.

4. آراء أهل المدينة الفاضلة / الفارابى / تحقيق: على بو ملحم / دار ومكتبة الهلال ـــ بيروت، 2003م.

5. أُسد الغابة / ابن الأثير الجزرى / تحقيق: عادل احمد الرفاعى / دار إحياء التراث العربى ـــ بيروت، 1996م.

6. الإنسان روح لا جسد / رءوف عبيد / مؤسسة العروة الوثقى ـــ بيروت.

7. بحار الأنوار / المجلسى / مؤسسة الوفاء ـــ بيروت، 1983م.

8. تاريخ الحديث النبوى / محمد على الحلو / مكتبة الإمام الصادق عليه السلام ـــ النجف، 2008م.

9. التبيان فى تفسير القرآن / الطوسى / مكتب الإعلام الإسلامى، 1409هـ.

10. تفسير الميزان / محمد حسين الطباطبائى / دار الكتب الإسلامية ـــ طهران، 1362ش.

11. روح المعانی / الآلوسی / تحقیق: محمد أحمد الأمد / دار إحیاء التراث العربی ـــ بیروت، 1999م.

12. روض الریاحین / للیافعی عن الغدیر للأمینی / دار الکتب الإسلامیة ـــ قم، 1366ش.

13. سفینة البحار / عباس القمی / دار الأسوة ـــ إیران، 1427هـ.

14. سیر أعلام النبلاء / الذهبی / تحقیق: محمود شاکر / دار إحیاء التراث العربی ـــ بیروت، 2006م.

15. شذرات الذهب فی أخبار من ذهب / ابن العماد الحنبلی / دار إحیاء التراث العربی ـــ بیروت.

16. شرح أصول الکافی / المازندرانی / تحقیق: علی عاشور / دار إحیاء التراث العربی ـــ بیروت، 2000م.

17. شرح المقاصد / التفتازانی / تحقیق: عبدالرحمن عمیرة / الشریف الرضی ـــ قم، 1989م.

18. شواهد التنزیل / الحاکم النیسابوری / تحقیق: محمد باقر المحمودی / مؤسسة الطبع والنشر ـــ طهران، 1990م.

19. الطاقة الخفیة / د. شفیق رضوان / المؤسسة الجامعیة للدراسات والنشر والتوزیع ـــ بیروت 2004م.

20. عین الیقین / الفیض الکاشانی / تحقیق: فالح عبدالرزاق العبیدی / أنوار الهدی ـــ قم، 1427هـ.

21. عیون المعجزات / الشیخ حسین عبدالوهاب / مؤسسة الأعلمی ـــ بیروت، 1983م.

22. عیون مسائل النفس / حسن حسن زادة آملی / أمیر کبیر ـــ طهران، 1385ش.

23. الغيب والشهادة / للشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء / المطبعة الحيدرية ـــ النجف الأشرف 1346هـ.

24. الفتاوى الحديثة لابن تيمية.

25. كامل الزيارات / ابن قولويه / تحقيق: عبدالحسين الأمينى / المطبعة المرتضوية ـــ النجف، 1356هـ.

26. مختصر بصائر الدرجات / الحسن بن سليمان الحلى / دار المفيد ـــ بيروت، 2003م.

27. معجم البلدان / ياقوت الحموى / تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلى / دار إحياء التراث ـــ بيروت.

28. الملل والنحل / الشهرستانى / تحقيق: احمد فهمى محمد / دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

29. المناقب / الخوارزمى / تحقيق: مالک المحمودى / مؤسسة النشر الإسلامى ـــ قم، 1416هـ.

30. منتخب فضائل النبى وأهل بيته عليهم السلام / مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مركز الغدير ـــ بيروت، 1996م.

31. ينابيع المعاجز / السيد هاشم البحرانى / تحقيق: علاء الدين الأعلمى / نشر كيميا ـــ قم، 2005م.

المحتويات

الإهداء

المقدمة

واقع البعض، محنة فكر.. أم محنة تفكير؟!

محنة العقل السلفى.

إطلال____ة..

تقسيم الولاية

النموذج الأول.

النموذج الثانى.

النموذج الثالث..

الايصالية أهم من الارائية.

الولاية التكوينية والتداعيات السياسية

الولاية التكوينية... ودحر تخرصات المشككين.

أولاً.

ثانياً

ثالثاً

رابعاً

آلية خطاب أُخرى..

وخلاصة حجّة الإمام عليه السلام.

الولاية التكوينية للأئمّة ومشكلة الحداثة المعرفية

والحداثويون الإسلاميون..؟

ماهيّة الولاية التكوينية

الولاية التكوينية، هل تعنى الإعجاز؟

التسليم و دور العقل.

إخضاع الولاية التكوينية لقانون العلية

الولاية التكوينية فى المفهوم الشيعى.. قراءة عرفانية

الفرق بين الولاية وبين النبوة فى نظر العارفين.

المنهج التأصيلى للولاية التكوينية فى مفهوم أهل السنة

الولاية التكوينية تساوق المعجزة فى مفهوم أهل السنة

تقريرات التفتازانى لكلام الفلاسفة.

أولاّ: النفوس القدسية

ثانياً: الإطلاع على المغيبات..

ثالثاً: التأثير على القضايا الكونية

رابعاً: تأثير الإمساک عن الطعام

خامساً: نزول الوحى وظهور الملک...

ما ذكره الشهرستانى فى الملل والنحل.

ما قرره الآلوسى فى مسألة التصرف فى التكوينات..

الولاية التكوينية والعلم الحديث... قراءة تجريبية

المعجزة.. نتائج العلوم المختبرية

وماذا عند البعض؟.

تقرير ابن عابدين فى رسائله للكرامة

كلام ابن تيمية وتقريراته للكرامة

التسخير السياسى المؤسف..

إسفافٌ فى غير محله

أحاديث من المنحى الأول.

أولاً: ما روى فى أبى بكر.

ثانياً: ما روى فى عمر بن الخطاب..

ثالثاً: ما روى فى أسيد بن حضير.

أحاديث المنحى الثانى.

أولاً: ما ورد فى أبى زرعة المصرى..

ثانياً: ما روى فى أحمد بن حنبل.

ثالثاً: ما روى فى مالک بن أنس...

الإمامى_ة وأدل_ة أخ_رى..

أولاً.

ثانياً

ثالثاً

رابعاً

الضرورة والمقتضى.

ما ورد فى الخطبة القاصعة

محاولةٌ أُخرى..

ونهاية المطاف..

الدليل على الولاية التشريعية عند الإمامية

الجعل التشريعى وحق التشريع.

إذن أين الخلاف؟.

التفويض... الشبهة والمفهوم

أولاً: وحدانية الله تعالى.

ثانياً: الغلو.

ثالثاً: المصلحة من التفويض...

ما هى دائرة التفويض التشريعى؟.

روايات التفويض...

أولاً.

ثانياً

ثالثاً

رابعاً

خامساً

سادساً

سابعاً

ثامناً

تاسعاً

عاشراً

حادى عشر.

ثانية عشر.

قراءة لروايات التفويض...

الرواية الأولى.

الرواية الثانية

الرواية الثالثة

الرواية الرابعة

الرواية الخامسة

الرواية السادسة

الرواية السابعة

الرواية الثامنة

الرواية التاسعة

الرواية العاشرة

الرواية الحادية عشر.

الرواية الثانية عشر.

الوسطية... لا إفراط ولا تفريط..

ص: 158

عبدالله بن سبأ حقيقة أم خيال.. أم ماذا؟.

القرآن هو المرجع فى الأمر.

ما نفهمه من التفويض التشريعى..

مبررات هذا الرأى..

أقسام الولاية التشريعية

يأتى بدين جديد.

الولاية التشريعية فى منظور أهل السنة

فهرس المصادر

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹